تحفة الراغب

في سيرة جماعة من أعيان أهل البيت الأطايب

أحمد بن أحمد بن سلامة القليوبي الشافعي (المتوفّى ١٠٦٩)

بسم الله الرّحمن الرّحيم

المقدّمة

الحمدلله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمّد وعلى أهل بيته الطاهرين.

وبعد فهذه مقدّمة وجيزة حول المؤلّف والكتاب وأُسلوب التحقيق.

١. المؤلف

أبوالعبّاس أحمد بن أحمد بن سلامة القليوبي المصري الشافعي، من أهل قرية قليوب في شرقية مصر، لم يذكر تاريخ ولادته في مصادر ترجمته، قال المحدّث القمّي:

> شهاب‌الدين أحمد بن أحمد بن سلامة القليوبي المصري الشافعي، أحد الفضلاء، أخذ العلم والحديث عن المشايخ، وكان في الطب ماهراً، وكان يحبّ الفقراء، وكان حسن التقرير، ويبالغ في تفهيم الطلبة، ويكرّر لهم تصوير المسائل، والناس في درسه كأنّ على رؤوسهم الطير.[1]

وقال محمّد أمين المحبّي الحنفي ـ المتوفّى سنة ١١١١ هـ. ق ـ:

---

١. الكنى والألقاب ٨٤/٣ «القليوبى».

الشيخ أحمد بن أحمد بن سلامة المصري القليوبي الشافعي، الإمام العامل، الفقيه المحدّث، أحد رؤساء العلماء المجمع على نباهته وعلوّ شأنه، وكان كثير الفائدة، نبيه القدر، أخذ الفقه والحديث عن الشمس الرملي، ولازمه ثلاث سنين، وهو منقطع ببيته، ولازم النور الزيادي وسالم الشبستري وعلياً الحلبي والسبكي وغيرهم من مشاهير الشيوخ. وعنه منصور الطوخي وإبراهيم البرماوي وشعبان الفيومي وغيرهم من أكابر الشيوخ، وكان مهاباً لا يستطيع أحد أن يتكلّم بين يديه إلّا وهو مطرق رأسه وجلاً منه وخوفاً! ولا يتردّد إلى أحد من الكبراء، ويحبّ الفقراء، ولا يقبل من أحد صدقة مطلقاً، بل كان في غالب زمانه يرى متصدِّقاً، وليس له وظائف ولا معاليم، ومع ذلك كان في أرغد عيش وأطيب نعيم. وكان متقشّعاً ملازماً للطاعات، ولا يترك الدرس، جامعاً للعلوم الشرعية، متضلّعاً من العلوم العقليّة.

وأمّا معرفته بالحساب والميقات والرمل فأشهر من أن تذكر، وإمامته في العلوم الحرفيّة وتصرّفه في الأوفاق والزايرجا وغير ذلك من الفنون فذلك أمر مشهور.

وكان في الطبّ ماهراً خبيراً، وكان حسن التقرير، ويبالغ في تفهيم الطلبة، ويكرّر لهم تصوير المسائل، والناس في درسه كأنّ على رؤوسهم الطير.

وألّف مؤلّفات كثيرة عمّ نفعها... وكانت وفاته في آخر شوّال سنة تسع وستّين [بعد الألف].

والقليوبي ـ بفتح القاف وسكون اللام وضمّ الياء المثناة من تحتها وسكون الواو وبعدها باء موحّدة ـ نسبة إلى بليدة صغيرة بينها وبين القاهرة مقدار فرسخين أو ثلاث فراسخ، ذات بساتين كثيرة، والله أعلم.[1]

وقد ورد في بداية النسخة المطبوعة من هذا الكتاب شهرة المؤلف بالشافعي الصغير، ولم نعثر على ذلك في مصادر ترجمته، فانّ المعروف بذلك محمّد بن أحمد الرملي المتوفّى عام ١٠٠٤ هـ،[2] والحسين بن

١. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ١٧٥/١؛ الأعلام ٧/٦.
٢. معجم المطبوعات العربية ٩٥٢/١.

علي العشاري،[١] وبا مخرمة عبدالله بن عمر اليماني،[٢] وعيسى بن أحمد بن عيسى البراوي،[٣] ولم ندر من أين أخذ هذه النسبة؟!

والظاهر أنّ المصنّف من العرفاء، يظهر ذلك من ترجمته لكبرائهم مع توصيفه إيّاهم بالعظمة ولبسهم الخرقة خلفاً عن سلف، وستأتي زيادة توضيح لذلك في التعريف بالكتاب.

توفي المترجم له في شوّال عام ١٠٦٩هـ. ق على ما ذكر في غالب موارد ترجمته،[٤] أو سنة ١٠٧٠هـ. ق على ما ذكره بعض.[٥]

قال يوسف إليان سركيس بعد أن حكى كلام المحبّي في ملازمة القليوبي للشمس الرملي ثلاث سنين:

مع أنّ الشمس مات في الرابعة منه، فلا أقلّ أن يكون القليوبي ابن اثني عشرة سنة، فيكون عمره أناف على الثمانين.[٦]

تأليفاته

له مؤلّفات كثيرة، نذكرها حسب ترتيب حروف المعجم:

١. أوراق لطيفة.

علّق بها على الجامع الصغير للسيوطي، فبيّن الحسن والضعيف والصحيح ممّا جاء فيه.[٧]

٢. البدور المنوّرة في الأحاديث المشتهرة.[٨]

٣. تحفة الراغب. وهي الكتاب الذي بين يديك، وسيأتي التعريف بها.

٤. تذكرة القليوبي في الطبّ.[٩]

---

١. الأعلام ٢٤٨/٢.
٢. الأعلام ١١٠/٤.
٣. عجائب الآثار ٣٦٦/١.
٤. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ١٧٥/١؛ كشف الظنون ١٦٠٦/٢ «مجموع المحبّى» و ١٧٩٧ «حاشيته على الاجرومية»؛ ايضاح المكنون ٢٩٥/١ «تعبير المنامات» و ٢٠٩/٢ «فوائد لطيفة».
٥. هدية العارفين ١٦١/١.
٦. معجم المطبوعات العربية ١٥٢٥/٢.
٧. الأعلام ٩٢/١.
٨. معجم المؤلّفين ١٤٨/١.
٩. الأعلام ١٩٢/١؛ معجم المطبوعات العربية ١٥٢٥/٢؛ هدية العارفين ١٦١/١؛ معجم المؤلّفين ١٤٨/١.

٥. تعبير المنامات.[١]

٦. الجامع في الطبّ.[٢] ولعلّه الّذي تقدم باسم تذكرة القليوبي.

٧. حاشية على شرح إيساغوجي في المنطق.[٣]

٨. حاشية على شرح الأزهرية.[٤]

٩. حاشية على شرح الأُجرومية، في النحو.[٥]

١٠. حاشية على شرح أبي‌شجاع، لابن قاسم الغزّي.[٦]

١١. حاشية على شرح المنهاج، للجلال المحلّي.[٧]

١٢. حاشية على شرح التحرير، في الفقه.[٨]

١٣. حاشية على شرح المختار لشمس الدين الشيرسي، في فروع فقه الحنفيّة.[٩]

١٤. رسالة في فضائل مكّة والمدينة وبيت المقدس وشيء من تاريخها.[١٠] ولعلّها ما سيأتي باسم «النبذة اللطيفة».

١٥. صلوات الشيخ أحمد القليوبي.[١١]

١٦. الفوائد الطبّية الموافقة لطبّ [خير] البريّة.[١٢] ولعلّها ما سيأتي باسم «المصابيح السنيّة».

١٧. فوائد لطيفة وفرائد نفيسة مقبولة في العلوم المرغوبة والفنون الجميلة الجليلة.[١٣]

١٨. مجموع المحبّين.[١٤] مجلّد يشتمل على فروع غريبة على مذهب الشافعي.

---

١. ايضاح المكنون ٢٩٥/١؛ معجم المؤلّفين ١٤٨/١.

٢. هدية العارفين ١٦١/١؛ خلاصة الأثر ١٧٥/١، ترجمته، وفيه: «كتاب في الطبّ جامع».

٣. هدية العارفين ١٦١/١.

٤. خلاصة الأثر، ترجمة القليوبي.

٥. خلاصة الأثر، ترجمة القليوبي؛ هدية العارفين ١٦١/١؛ كشف الظنون ١٧٩٧/٢.

٦. خلاصة الأثر، ترجمة القليوبي؛ معجم المؤلّفين ١٤٨/١.

٧. إيضاح المكنون ٥٨٧/٢؛ معجم المطبوعات العربيّة ١٥٢٥/٢؛ خلاصة الأثر، ترجمة القليوبي.

٨. خلاصة الأثر، ترجمة القليوبي؛ هدية العارفين ١٦١/١.

٩. ايضاح المكنون ٤٤٧/٢.

١٠. الأعلام ٩٢/١.

١١. معجم المطبوعات العربيّة ١٥٢٦/٢، وزاد: مسبوقة؛ بمقدّمة في فضل الصلاة على النبي للمؤلّف.

١٢. هدية العارفين ١٦١/١.

١٣. ايضاح المكنون ٢٠٩/٢؛ هدية العارفين ١٦١/١.

١٤. هدية العارفين ١٦١/١؛ كشف الظنون ١٦٠٦/٢، وفيه: «مجموع المحبّي».

١٩. المصابيح السنيّة في طبّ خير البريّة.[١] ولعلّها ما تقدّم باسم «الفوائد الطبّية».

٢٠. المعراج.[٢]

٢١. مناسك الحجّ.[٣]

٢٢. النبذة اللطيفة في بيان مقاصد الحجاز ومعالمة الشريفة.[٤] ولعلّها ما تقدّم باسم «رسالة في فضائل مكّة والمدينة...».

٢٣. نوادر القليوبي أو كتاب حكايات وغرائب وعجائب ولطائف ونوادر وفرائد ونفائس.[٥]

٢٤. الهداية من الضلالة في معرفة الوقت والقبلة من غير آلة.[٦]

٢. الكتاب

قال المؤلّف في مقدّمته:

> أمّا بعد، فيقول العبد الفقير إلى الله تعالى أحمد بن أحمد بن سلامة المعروف بالقليوبي الشافعي المصري ـ غفرالله ذنوبه وستر في الدنيا والآخرة عيوبه، آمين ـ: هذا كتاب لطيف، وسفر ظريف، جمعته بطلب بعض الإخوان ـ أصلح الله لي ولهم الشأن ـ، وسمّيته «تحفة الراغب في سيرة جماعة من أعيان أهل البيت الأطايب»، جمعت فيه مع الاختصار سيرة جماعة من أعيان السادات الأشراف المشهورة مراقدهم بديار مصر....

كما يظهر من كلام المصنّف أنّه بصدد ترجمة المدفونين من أهل البيت عليهم السلام في مصر، فذكر سبعة عشر منهم، بدأ بترجمة الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، لدفن رأسه الشريف في مصر ـ على قول ـ، وختم التراجم بترجمة السيّد إبراهيم الدسوقي، وختم الكتاب بخاتمة تعرّض فيها لشيء من المدائح والوسائل بأهل البيت عليهم السلام.

والمذكورين في الكتاب على ثلاثة أقسام:

---

١. ايضاح المكنون ٢٠٩/٢؛ هدية العارفين ١٦١/١.
٢. هدية العارفين ١٦١/١.
٣. خلاصة الأثر، ترجمة القليوبي؛ هدية العارفين ١٦١/١.
٤. هدية العارفين ١٦١/١؛ ايضاح المكنون ٦١٨/٢؛ معجم المؤلّفين ١٤٨/١.
٥. معجم المطبوعات العربيّة ١٥٢٦/٢.
٦. ايضاح المكنون ٧٢٣/٢؛ الأعلام ١٩٢/١؛ هدية العارفين ١٦١/١؛ خلاصة الأثر، ترجمة القليوبي.

الأوّل: ما يكون دفنهم في مصر متّفق عليه، كالسيّدة نفيسة.

الثاني: ما يكون مختلف فيه، كرأس الحسين عليه السلام والسيّدة زينب بنت أمير المؤمنين عليهما السلام.

الثالث: ما يكون عدم دفنهم في مصر متفق عليه كالإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام.

فإنّ المصنّف تعرّض لهذا القسم؛ لانتساب مزار إليه في مصر، ثمّ صرّح بعدم صحّة هذا الانتساب.

وقد ذكر المصنّف في ترجمة بعضهم نسباً لم يذكر في كتب الأنساب، بل الشواهد القطعيّة قائمة على عدم صحّته، مثل ما ذكر فى نسب أحمد البدوى من الانتساب إلى الإمام المنتظر بن الامام الحسن العسكرى عليهما السلام.

وجدير بالذكر أنّ المصنّف ذكر في هذا الكتاب ترجمة بعض أكابر الصوفية المدفونين في غير مصر كالسيّد أحمد الرفاعي، فإنّه وإن لم يذكر له عنواناً خاصاً، لكنّه تعرّض لترجمته ترجمة مفصّلة ضمن ترجمة حفيده علي الرفاعي، وذكر له كرامات عجيبة، مثل انكشاف اليد المباركة النبويّة بسببه حتّى رآها جمّ غفير من الحاضرين في الروضة المباركة، فقبّلها في ملأ عظيم.

وتعرّض المصنّف لما هو رائج بين الصوفية من لبس الخرقة من أيدى أقطابهم، في صفحات عديدة، ونقل كثيراً من كلماتهم، ويظهر من ذلك شدّة ميله إلى التصوّف ورغبته إلى الصوفيّة.

واستفاد المصنّف فى هذا الكتاب عن بعض الكتب الّتي لم يصل إلينا ـ أو لم يطبع إلى الآن ـ مثل «الثبت المصان» لعبيدالله بن عمر الأعرجي، ويعرف بـ«بحر الأنساب»، وكتاب «الرسالة الزينبيّة» للسيوطي، والظاهر أنّها «العجاجة الزرنبيّة في السلالة الزينبيّة».

نسخ الكتاب

وصلت إلينا نسختان من الكتاب:

١. نسخة مخطوطة في مكتبة سماحة آيةالله المرعشي النجفي قدس سره برقم ١٦٢٢٧ في ١١٨ صفحة، في كلّ صفحة ١٥ سطراً، غير الأوّلين والأخيرة منها. ففي الصفحة الأُولى منها عنوان الكتاب واسم مؤلّفه، وفي الصفحة الثانية منها ١٢ سطراً، وفي الأخيرة كلمات يسيرة.

وهذه النسخة بخطّ نسخ لا بأس به، ولم يظهر لنا اسم كاتبه ولا تاريخ كتابته.

٢. نسخة مطبوعة طبعت في مصر في ٥٦ صفحة عام ١٣٠٧هـ . ق، في كلّ صفحة ٢٥ سطراً، وهذه النسخة موجودة في مكتبة آيةالله المرعشي النجفي في قم برقم ١٨١٧٤٢، إلّا أنّها ناقصة الأوّل، سقطت منها ورقتان من أوّلها.

وللكتاب نسخة في مكتبة الأوقاف في بغداد برقم ٥٨٢٨ على ما في فهرسها ٤/ ٢١٧.

٣. أُسلوب التحقيق

اعتمدنا في تحقيق الكتاب على نسختي الخطية والمطبوعة اللّتين تقدّم ذكرهما آنفاً. وقمنا بتقويم النصّ وتخريج الأحاديث والآثار المرتبطة بأهل البيت عليهم السلام وتاريخهم، وكان جلّ اهتمامنا الاكتفاء بالمصدر الّذي أخذ منه المصنّف، ولكنّا لم نكتف به بل أضفنا عليه بعض المصادر حسب أهميّة الموضوع، وأما ما لا يرتبط بهم عليهم السلام مثل ما ورد فيه من تراجم بعض الصوفية فلا يهمّنا ذلک فأعرضنا عن كثير ممّا ذكره فلم نخرجه.

والجدير بالذكر أن هذا الكتاب يحتوي أخطاء واضحة مثل ما ورد فيه من عرض الإمام الحسين عليه السلام الاستسلام على عمر بن سعد وجيشه وإبائهم عن قبوله، فاذا كان الخطأ راجعاً إلى شؤون أهل البيت عليهم السلام فتعرّضنا لردّه وجوابه باختصار أو مع تفصيل حسب اهمّية الموضوع، وأمّا ما لا مساس له بشؤونهم عليهم السلام فلم نتعرّض لجوابه، وهذا هو العلّة في تطويل بعض التعليقات.

وأقدمنا على تحقيق هذا الكتاب ونشره؛ لشموله على ترجمة جماعة من أعيان أهل البيت عليهم السلام والذرّية الطاهرة المدفونين في مصر، ولما ورد فيه من الترغيب إلى ما هو المتداول بين الأُمّة الإسلامية من زيارة أهل البيت والتوسّل إليهم، وقد صرّح المصنّف بذلک، فإنّه قال في خاتمة الكتاب:

> كان السلف الصالح من أكابر الأُمّة ـ رضى الله عنهم ـ يتوسّلون بالنبيّ صلى الله عليه وآله وبآله الطاهرين، ويفرّج الله لهم كروبهم، وكثيراً ما كان العارفون من أعيان القوم يختلفون إلى النجف الأشرف ويقفون أمام قبر أميرالمؤمنين الإمام علي بن أبي‌طالب ـ عليه‌السلام والرضوان ـ ويدعون الله في حوائجهم فيستجيب لهم ويقضي حاجاتهم.

هذا، والحمدلله أوّلاً وآخراً، وصلواته على أنبيائه وأوليائه لاسيّما محمّد وآله.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الّذي أكرم حبيبه ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ ببردتي الجمال والجلال، وجعله عروس مملكة القدس وسلطان منصّة الكمال، صلّى الله عليه وعلى آله الّذين فرض على أُمّته مودّتهم، وألزمهم محبّتهم، ورضي الله عن أصحابه الّذين أمر الله الأُمّة بإكرامهم، وألزمهم التمسّک بتوقيرهم واحترامهم.

أمّا بعد، فيقول العبد الفقير إلى الله تعالى أحمد بن أحمد بن سلامة المعروف بـ«القليوبي» الشافعي المصري ـ غفر الله ذنوبه، وستر في الدنيا والآخرة عيوبه، آمين ـ: هذا كتاب لطيف، وسفر ظريف،

جمعته بطلب بعض الإخوان ـ أصلح الله لي ولهم الشأن ـ وسمّيته «تحفة الراغب في سيرة جماعة من أعيان أهل البيت الأطايب»، جمعت فيه مع الاختصار، سيرة جماعة من أعيان السادات الأشراف، المشهورة مراقدهم بديار مصر ـ رضي الله عنهم ـ .

وهم سيّدنا ووليّ نعمتنا، ومولانا وإمامنا السيّد الإمام الحسين عليه السلام؛ والسيّدة الجليلة زينب والسيّدة الطاهرة رقيّة أُختا الإمام الحسين؛ وبنته السيّدة العظيمة القدر سكينة؛ والسيّد محمّد الأنور؛ والسيّد حسن الأزهر؛ وبنته السيّدة الرفيعة الشأن نفيسة؛ والسيّد الجليل علي زين‌العابدين؛ وابنه السيّد الكبير زيد؛ والسيّد الشامخ المقام إبراهيم بن زيد؛ والسيّدة الرفيعة الجناب عائشة بنت الإمام جعفر الصادق؛ وأخوها السيّد القاسم الزكيّ؛ وبنته السيّدة الشريفة أُمّ كلثوم؛ والسيّد القطب الكبير عليّ الرفاعي؛ والسيّد القطب الشهير أحمد البدوي؛ والسيّد القطب الجليل القدر عبدالرحيم القناوي؛ والسيّد القطب الرفيع المقام إبراهيم الدسوقي ـ رضي الله تعالى عنهم أجمعين ـ .

أمّا الحسين عليه السلام

فهو أبو[1] عبدالله الحسين ابن أشرف النساء، أُمّ الأئمّة الأوصياء، البضعة الطاهرة، سيّدتنا فاطمة الزهراء بنت سيّد المخلوقين، وحبيب ربّ العالمين، سيّدنا محمّد صلى الله عليه وآله وهو ـ عليه الصلاة والسلام ـ سيّدنا محمّد بن عبدالله بن عبدالمطّلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصيّ بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

وقد كره الإمام مالك ـ رحمه الله تعالى ـ رفع النسب النبوي إلى آدم عليه السلام؛[2] لما في ذلك من الاختلاف الكثير.

وأُمّ النبيّ ـ صلّى الله تعالى عليه وسلّم ـ السيّدة الطاهرة آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب المذكور في النسب النبوي.

وأمّا والد الإمام الحسين فهو أميرالمؤمنين، سيّدنا عليّ بن أبي‌طالب بن عبدالمطّلب، أحد رجال النسب المحمّدي الّذي طهّر الله رجاله من الآثام، وحماهم من السجود للأصنام.

نسب كأنّ عليه من شمس الضحى ... نوراً ومن فلق الصباح عمودا

---

١. في النسخة المخطوطة: ابن.

٢. البداية والنهاية ٢/٢٤٦.

وروي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «إذا بلغ نسبي إلى عدنان فأمسكوا»: قصص الأنبياء ـ للراوندي، ص٣٤١، ح ٤٢٣؛ الدرّ النظيم، ص ٤٧؛ إعلام الورى، ج ١، ص ٤٣.

ولد الحسين رضي الله عنه سنة أربع على الصحيح، وكانت ولادته لخمس خلون من شعبان، علقت به أُمّه الطاهرة الزهراء بعد ولادة أخيه الإمام الحسن رضي الله عنه بخمسين ليلة، وقد حنّكه النبيّ صلى الله عليه وآله بريقه الطيّب الشريف، وأذّن في أُذنه، وتفل في فمه المبارك، ودعا له، وسمّاه في اليوم السابع حسيناً، وعقّ عنه، ونشأ مباركاً طيّباً، وكان شجاعاً مقداماً، عالماً زاهداً، فصيحاً وجيز العبارة بليغها، مقبلاً على الله في جميع أحواله، وكان محبوباً لجدّه صلى الله عليه وآله.

روى خيثمة بن سليمان عن أبي هريرة أنّ النّبي صلى الله عليه وآله جلس في المسجد فقال: أين لكع؟ فجاء الحسين يمشي حتّى سقط في حجره، فجعل أصابعه في لحية رسول الله صلى الله عليه وآله ففتح صلى الله عليه وآله فمه ـ أي الحسين ـ فأدخل فاه في فيه، ثمّ قال: اللّهمّ إنّي أُحبّه فأحبّه وأحبّ من يحبّه.[1]

وكان ابن عمر [و] جالساً في ظلّ الكعبة إذ رأى الحسين مقبلاً فقال: هذا أحبّ أهل الأرض إلى أهل السماء اليوم.[2]

والتزم يوماً ركن الكعبة وقال: إلهي نعّمتني فلم تجدني شاكراً، وابتليتني فلم تجدني صابراً، فلا أنت سلبت النعمة بترك الشكر، ولا أدمت الشدّة بترك الصبر، إلهي ما يكون من الكريم إلّا الكرم.[3]

لزم خدمة أبيه بالمدينة إلى أن خرج إلى الكوفة فشهد معه مشاهد، ولا زال معه حتّى قتل رضي الله عنه وصار مع أخيه إلى أن استقال، فرجع إلى المدينة وأقام بها حتّى مات معاوية.

قال الحافظ السيوطي ـ رحمه الله ونوّر ضريحه ـ :

> لمّا مات معاوية بايع يزيد[4] أهل الشام، ثمّ بعث إلى أهل المدينة من يأخذ له البيعة، فأبى الحسين وابن الزبير أن يبايعاه، وخرجا من ليلتهما إلى مكّة؛ فأمّا ابن الزبير فلم يبايع ولا دعا إلى نفسه، وأمّا الحسين فكان أهل الكوفة يكتبون إليه يدعونه إلى الخروج إليهم زمن معاوية وهو يأبى، فلمّا بويع يزيد أقام على ما هو مهموماً يجمع الإقامة مرّة ويريد المسير إليهم أُخرى، فأشار عليه ابن الزبير بالخروج، وكان ابن

---

١. من حديث خيثمة، ص ٢٠٤؛ وعنه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ١٩٤/١٣ ـ ١٩٥، ترجمة الحسن بن علي، و ٤٦٠/٢٤، ترجمة طراد بن حسين بن حمدان. والمذكور فيهما أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أخذ بيد الحسن أو الحسين، وذكروا الحديث مع مغايرة في الألفاظ، نعم، اللفظ المذكور في المتن أورده الصالحي في سبل الهدى والرشاد ٧١/١١، نقلاً عن ابن أبي خيثمة وأبي الحسن الضحّاك.

٢. شرح الأخبار ١٤٥/١ ـ ١٤٦ (٨٤)؛ مناقب آل أبي طالب ٢٢٨/٣، باب إمامة أبي عبدالله الحسين؛ مجمع الزوائد ١٧٧/٩، نقلاً عن البزّار.

٣. العدد القويّة، ص ٣٥، ح ٢٧.

٤. في المخطوطة: بايعه، بدل بايع يزيد.

عبّاس يقول له: لا تفعل. وقال له ابن عمر: لا تخرج. وصمّم على المسير إلى العراق فقال له ابن عبّاس: والله إنّي لأظنّك ستقتل بين نسائك وبناتك كما قتل عثمان. فلم يقبل منه، فبكى ابن عبّاس وقال: أقررت عين ابن الزبير.

ولمّا رأى ابن عبّاس عبدالله بن الزبير قال له: قد أتى ما أحببت، هذا الحسين يخرج ويترككَ والحجاز. ثمّ تمثّل:

يا لك من قنبرة بمعمر خلا لك البرّ فبيضي واصفري

ونقّري ما شئت أن تنقّري

وبعث أهل العراق إلى الحسين الرسل والكتب يدعونه إليهم، فخرج من مكّة إلى العراق في عشر ذي الحجّة ومعه طائفة من آل بيته رجالاً ونساء وصبياناً، فكتب يزيد إلى واليه بالعراق عبيدالله بن زياد بقتاله، فوجّه إليه جيشاً أربعة آلاف عليهم عمر بن سعد بن أبي‌وقّاص، فخذله أهل الكوفة ـ كما هو شأنهم مع أبيه من قبله ـ، فلمّا رهقه السلاح عرض عليهم الاستسلام والرجوع والمضي إلى يزيد، فيضع يده في يده،[1] فأبوا إلّا قتله، فقتل وجيء برأسه في طست حتّى وضع بين يدي ابن زياد ـ لعن الله قاتله وابن زياد معه ويزيد أيضاً ـ.

---

۱. هذا من الأكاذيب الّتي اخترقوها أتباع بني‌اُميّة، فإنّ المذكور في التاريخ الصحيح عكس ذلك، فإنّهم عرضوا على الإمام الحسين عليه السلام الاستسلام، فقال لهم: «لا والله لا اُعطيهم بيدي إعطاء الذليل ولا أفرّ فرار العبيد»: الارشاد ۹۸/۲؛ مناقب آل أبي‌طالب ۲۲۴/۳؛ إعلام الورى ۴۵۹/۱؛ الدر النظيم، ص ۵۵۳؛ مثير الأحزان، ص ۳۷. فاختار المنيّة على الدنية وميتة العزّ على عيش الذلّ. فإنّ إبائه عليه السلام للضيم ومقاومته للظلم واستهانته القتل في سبيل الحقّ والعزّ ممّا يضرب به المثل حتّى لقّبَ بأبي الضيم، فقد كان عليه السلام المثل الأعلى لهذه الظاهرة، فهو الّذي رفع شعار الكرامة الإنسانية ورسم طريق الشرف والعزّة، ولم يخضع لبني‌اُميّة وآثر الموت تحت ظلال الأسنّة، والمؤلّفات مملوءة بذكر هذه الخصوصيّة له عليه السلام، قال ابن أبي‌الحديد في شرح نهج البلاغة ۲۴۹/۳: «سيّد أهل الإباء الّذي علّم الناس الحميّة والموت تحت ظلال السيوف، اختياراً له على الدنيّة أبو عبدالله الحسين بن علي بن أبي‌طالب صلى الله عليه وآله عرض عليه الأمان وأصحابه فأنف من الذلّ وخاف من ابن زياد أن يناله بنوع من الهوان إن لم يقتله، فاختار الموت على ذلك».

فإنّه عليه السلام قال لمروان: «وعلى الاسلام السلام إذ بليت الأُمّة براع مثل يزيد». وقال لأخيه محمّد ابن الحنفيّة: «والله لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية». فإنّه قال ذلك في حين يعلم أنّه لو بايع يزيد لنال من الدنيا الحظّ الأوفر والنصيب الأوفى، ولكنّه أبى الانقياد له.

وهو القائل: «موت في عزّ خير من حياة في ذلّ». وكان يقول يوم الطفّ:

الموت خير من ركوب العار والعار أولى من دخول النار

فهو الّذي ردّ بيعة يزيد والاستسلام له، فقال في خطبته يوم عاشوراء: «ألا وإنّ الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين: السلّة والذلّة، وهيهات منّا الذلّة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت وأنوف حميّة ونفوس أبيّة من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام».

وكان قتله بكربلاء، وفي قتله قصّة فيها طول لايحتمل القلب ذكرها، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.[١]

وكان أكثر مقاتليه المبايعين له والكاتبين[٢] إليه، ويقال: لمّا أيقن أنّهم قاتلوه قام في أصحابه خطيباً، فحمدالله وأثنى عليه ثمّ قال: قد نزل من الأمر ما ترون، وأنّ الدنيا تغيّرت وتنكّرت وأدبر معروفها، وانشمرت حتّى لم يبق منها إلّا كصبابة الإناء وإلّا خسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون الحقّ لا يعمل به، والباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله ـ عزّ وجلّ ـ، وإنّي لا أرى الموت إلّا سعادة والحياة مع الظالمين إلّا جرماً.[٣] فقاتلوه إلى أن قتل ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ.

وكانت شهادته يوم الجمعة، يوم عاشوراء، سنة إحدى وستّين[٤] بكربلاء من أرض العراق، بين الحلّة والكوفة، وقتل معه من أهل بيته الطاهرين يومئذ ثلاثة وعشرون رجلاً.[٥]

وروى ابن الأنباري رحمه الله أنّ السيّدة زينب بنت الإمام أميرالمؤمنين عليّ ـ كرّم الله وجهه ورضي الله عنه ـ لمّا قتل أخوها الحسين عليه السلام أخرجت رأسها من الخباء وأنشدت رافعة صوتها ـ رضي الله عنها ـ:

ماذا تقولون إن قال النبيّ لكم ... ماذا فعلتم وأنتم آخر الأُمم
بعترتي وبأهلي بعد فرقتكم ... منهم أُسارى ومنهم خضّبوا بدم
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم ... أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي[٦]

---

١. تايخ الخلفاء، ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧.
٢. في المخطوطة: المكاتبين.
٣. تحف العقول، ص ٢٤٥؛ شرح الأخبار ١٥٠/٣ (١٠٨٨)؛ مناقب آل أبيطالب ٢٢٤/٣؛ تاريخ الطبري ٣٠٥/٤، حوادث سنة إحدى وستّين، المعجم الكبير ١١٤/٣ ـ ١١٥ (٢٨٤٢). ثمّ إنّ المذكور في جميع المصادر: «... إلا برماً»، والبرم: السئم والضجر.
٤. في المخطوطة زيادة «و».
٥. اختلفت الرواية في عدّة من استشهد من أهل البيت في كربلاء، وأكثر عدد في ذلك سبعة وعشرون رجلاً، وعدّ منهم الإمام الحسين ومسلم بن عقيل. والّذي عليه كثير من المحدثين والمؤرّخين أنّ المقتولين معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً: أمالى الصدوق، المجلس ٢٧، ح ٥؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢٦٨/١ (٥٨)؛ تاج المواليد، ص ٣٢، إقبال الأعمال ٢٩/٣. وقال الشيخ المفيد في الإرشاد ١٢٥/٢: «هم سبعة عشر نفساً، الحسين بن علي عليه السلام ثامن عشر منهم». والتعرّض لجميع الأقوال يوجب التطويل، ومن أراد استيفاء ذلك فعليه بكتاب أنصار الحسين، لمحمّد مهدي شمس الدين، ص ١٢٩ ـ ١٣٧.
٦. لم أعثر على مصدر لرواية ابن الأنباري، نعم ورد في بعض المصادر أنّ زينب بنت علي صلى الله عليه وآله أنشدت هذه الأبيات بعد خطبتها في الكوفة: مناقب آل أبيطالب ٢٦٢/٣، الاحتجاج ٢٩/٢.

وفي بعض المصادر أنّ زينب بنت عقيل أنشدتها بالمدينة: الإرشاد ١٢٤/٢؛ شرح الأخبار ١٩٩/٣ (١١٢٨)؛ مثير الأحزان، ص ٧٥. وفي بعضها أنّ أسماء بنت عقيل أنشدتها: أمالى المفيد، المجلس ٣٨، ح ٥؛ أمالي الطوسي، المجلس ٣، ح ٤٨. وفي مقتل الحسين ـ للخوارزمي ـ ٧٦/٢: «خرجت بنت عقيل... وهي تقول» ولم يذكر اسمها. وفي بعض المصادر أنّ علي بن الحسين صلى الله عليه وآله أنشدها بعد خطبته بالشام: مقتل الحسين ـ للخوارزمي ـ ٦٣/٢. وفي بعض المصادر أنّ الجنّ أنشدها: كامل الزيارات، ص ١٩٣ (٢٧٣).

قال السيوطي رحمه الله:

ولّما قتل الحسين مكثت الدنيا سبعة أيّام والشمس على الحيطان كالملاحف المعصفرة، والكواكب يضرب بعضها بعضاً.[١] وكان قتله يوم عاشوراء، وكسفت الشمس ذلك اليوم، واحمرّت آفاق السماء ستّة أشهر بعد قتله،[٢] ثمّ لا زالت الحمرة ترى فيها بعد ذلك، ولم تكن ترى فيها قبله.

وقيل: إنّه لم يقلب حجر ببيت[٣] المقدس يومئذ إلّا وجد تحته دم عبيط،[٤] وصار الورس الّذي في عسكرهم رماداً،[٥] ونحروا ناقة في عسكرهم فكانوا يرون في لحمها مثل النيران،[٦] وطبخوها فصارت مثل العلقم،[٧] وتكلّم رجل في الحسين بكلمة[٨] فرماه الله بكوكبين من السماء فطمس بصره.[٩]

قال الثعالبي:[١٠] روت الرواة من غير وجه عن عبدالملك بن عمير الليثي قال: رأيت في هذا القصر ـ وأشار إلى قصر الإمارة بالكوفة ـ رأس الحسين بن علي بين يدي عبيدالله بن زياد على ترس، ثمّ رأيت رأس عبيدالله بن زياد بين يدي المختار بن أبي[١١] عبيد، ثمّ رأيت رأس المختار بين يدي مصعب بن الزبير، ثمّ رأيت رأس مصعب بين يدي عبدالملك، فحدّثت بهذا الحديث عبدالملك فتطيّر منه وفارق مكانه.[١٢]

---

١. المعجم الكبير ١١٤/٣ (٢٨٣٩)؛ تاريخ مدينة دمشق ٢٢٨/١٤؛ سير أعلام النبلاء ٣١٢/٣.
٢. تاريخ مدينة دمشق ٢٢٧/١٤؛ سير أعلام النبلاء ٣١٢/٣؛ تاريخ الإسلام ١٥/٥.
٣. في المخطوطة: بيت.
٤. أمالي الصدوق، المجلس ٣١، ح ٤؛ تاريخ مدينة دمشق ٢٢٩/١٤؛ تهذيب الكمال ٤٣٤/٦؛ دلائل النبوّة ـ للبيهقي ـ ٤٧١/٦.
٥. دلائل النبوّة ـ للبيهقي ـ ٤٧٢/٦.
٦. تاريخ مدينة دمشق ٢٣٠/١٤؛ ترجمة الحسين بن علي.
٧. دلائل النبوة ـ للبيهقي ـ ٤٧٢/٦؛ تاريخ مدينة دمشق ٢٣١/١٤؛ تاريخ الاسلام ١٦/٥.
٨. «بكلمة» ساقطة من المخطوطة.
٩. تاريخ مدينة دمشق ٢٣٢/١٤؛ تهذيب الكمال ٤٣٥/٦.
١٠. في المخطوطة: الثعلبي.
١١. «أبي» ساقطة من المخطوطة.
١٢. تاريخ اليعقوبي ٢٦٥/٢، بتمامه وزاد: «فخرج من ذلك البيت وأمر بهدمه»؛ معرفة الثقات ـ للعجلي ـ ١٣٢/١ ـ ١٣٣ و ١٠٥/٢، تاريخ مدينة دمشق ٢٤٤/٥٨، ترجمة مصعب بن الزبير، عن العجلي، وفي الجميع: «الحجّاج» بدل «عبدالملك»، ثم قال ابن عساكر: «كذا قال، والصواب بين يدي عبدالملك»، ورواها في ص ٢٤٥ بأسانيد. المعجم الكبير ١٢٥/٣ (٢٨٧٧) ولم يذكروا الذيل المرتبط بتطيّر عبدالملك.

وأخرج الترمذي عن سلمى قالت: دخلت على أُمّ سلمة وهي تبكي، فقلت: ما يبكيك؟ قالت: رأيت رسول الله ﷺ في المنام وعلى رأسه ولحيته التراب، فقلت: ما لک يا رسول الله؟ قال: شهدت قتل الحسين آنفاً.[١]

وأخرج البيهقي في «الدلائل» عن ابن عبّاس قال: رأيت رسول الله ﷺ نصف[٢] النهار أشعث أغبر وبيده قارورة فيها دم، فقلت: بأبي وأُمّي يا رسول الله، ما هذا؟ قال: هذا دم الحسين وأصحابه لم أزل ألتقطه منه اليوم. فأُحصي ذلک اليوم، فوجدوه قتل يومئذ.[٣]

وأخرج أبونعيم في «الدلائل» عن أُمّ سلمة قالت: سمعت الجنّ تبكي على الحسين[٤] وتنوح عليه.[٥]

وأخرج ثعلب في «أماليه»[٦] عن أبي‌جناب[٧] الكلبي قال: أتيت كربلاء فقلت لرجل من أشراف العرب: أخبرني بما بلغني أنّكم تسمعون نوح الجنّ، فقال: ما تلقى أحداً إلّا أخبرک أنّه سمع ذلک، قلت: فأخبرني بما سمعت أنت، قال: سمعتهم يقولون شعراً:

مسح الرسول جبينه ... فله بريق في الخدود

أبواه من عليا قر ... يش وجدّه خير الجدود[٨]

ورحم الله السيّد الجليل شهاب الدين أحمد ابن الرفاعي شيخ الشيوخ بالديار المصريّة والممالک الإسلاميّة ما أحسن قوله راثياً الإمام الحسين:

تبكي السماء يا أُميم والثرى ... أبيض وجه مات موتاً أحمرا

قضى شهيد السيف عطشاناً وقد ... كانت يمينه تسحّ أبحرا

---

١. سنن الترمذي ٣٢٣/٥ (٣٨٦٠).
٢. في المخطوطة: بنصف.
٣. دلائل النبوّة ٤٧١/٦.
٤. في المخطوطة: حسين.
٥. لم أعثر عليه في الدلائل، وله مصادر، منها: كامل الزيارات، ص ١٨٩ (٢٦٨)؛ أمالي الصدوق، المجلس ٢٩، ح ٢؛ روضة الواعظين، ص ١٧٠؛ شرح الأخبار ١٦٧/٣ (١١٠٧)؛ مثير الأحزان، ص ٨٦ ـ ٨٧؛ ذخائر العقبى، ص ١٥٠؛ المعجم الكبير ١٢٢/٣ (٢٨٦٩).
٦. مجالس ثعلب، ص ٦٨.
٧. في النسخ: «خباب»، والتصويب حسب المصدر وترجمته.
٨. تاريخ الخلفاء، ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨، ترجمة يزيد بن معاوية.

فائدة

الموت ثلاثة ألوان: أبيض وأحمر وأسود، فالأبيض هو الموت بالعلّة، والأحمر هو الموت بالقتل، والأسود هو الموت بالطاعون، وكلّ من مات لاحق بربّه سبحان وتعالى.

وقال الشريف الجليل مؤيّد الدين عبيدالله نقيب واسط، المعروف بـ«ابن الأعرج» الحسيني[1] في كتابه: الثبت المصان ويعرف بـ«بحر الأنساب»:

قتل الإمام الحسين يوم عاشوراء لعشر مضين من المحرّم يوم السبت، وروي أنّه كان يوم الاثنين، عند الزوال سنة إحدى وستّين بكربلاء، قتله عمر بن سعد وكان أمير الجيش من قبل عبيدالله بن زياد ـ لعنه الله ـ، وعبيدالله كان والياً على العراق من جهة يزيد ـ لعنه الله ـ لأخذ البيعة منه أو لقتله.

وجميع أصحاب الحسين عليه السلام كانوا اثنين وسبعين نفساً من بني عبدالمطّلب ومن سائر الناس، منهم اثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً، قتلوا جميعاً ـ رضي الله عنهم وأرضاهم ـ، ثمّ حملوا الجميع بأجمعهم على الحسين، وأُمر الرماة أن ترميه، فرموه بالسهام حتّى صار عليه السلام كالقنفذ، وجرحوه في بدنه ثلاثمئة وتسعة[2] وعشرين موضعاً بالرمح والسيف والنبل والحجارة، حتّى آل الأمر إلى أن أحجم عنهم وضعف عن قتالهم، ثمّ طعنه سنان بن أنس المخزومي ـ لعنه الله ـ برمحه فصرعه، وابتدر إليه خولي بن يزيد الأصبحي ليحتزّ[3] رأسه فأرعد، فقال له شمر بن ذي الجوشن ـ لعنه الله ـ: فتّ الله عضدك ما لک ترعد؟ ونزل عن دابّته وذبحه كما يذبح الكبش.

وعدّة من قتل معه من أهل بيته وعشيرته ثمانية عشر نفساً؛ فمن أولاد أمير المؤمنين عليه السلام: العبّاس وعبدالله وجعفر وعثمان وأبوبكر ومحمّد،[4] ومن أولاد الحسين: عليّ وعبدالله، ومن بني الحسن: القاسم وأبوبكر وعبدالله، ومن أولاد

---

۱. عبيدالله بن عمر بن محمّد بن عبدالله بن طاهر الحسيني أبوالنظام الواسطي، ينتهي نسبه إلى عبيدالله الأعرج بن الحسين الأصغر بن الامام زين‌العابدين عليه السلام، توفي سنة ۷۸۷هـ.

۲. في تاج المواليد: «وبضعة».

۳. في تاج المواليد: «ليجتزّ».

۴. «ومحمّد» ساقطة من المخطوطة.

عبدالله بن جعفر الطيّار: محمّد وعون، ومن أولاد عقيل بن أبي‌طالب: عبدالله وجعفر وعون[١] وعبدالرحمان ومحمّد بن [أبي]سعيد بن عقيل بن أبي‌طالب ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ .[٢]

وقد أرسل ابن زياد الرأس الشريف ومن معه من أهل بيت الحسين ـ عليهم السلام والرضوان ـ إلى يزيد، ومنهم الإمام زين‌العابدين وعمّته السيّدة زينب، فأوقفهم اليزيد ـ لعنه الله ـ موقف السبي وأهانهم كلّ الإهانة، وصار يضرب الرأس الشريف بقضيب كان معه، وبالغ في الفرح، ثمّ ندم لمّا مقته المسلمون، وأمر بردّ أهله ـ رضي الله عنهم ـ إلى المدينة المنوّرة.[٣]

ويقال: إنّ يزيد أمر أن يطاف بالرأس الشريف في البلاد، فطيف به حتّى انتهى إلى عسقلان بالشام، فدفنه أميرها بها، ولمّا غلب الإفرنج على عسقلان افتداه منهم الصالح طلائع وزير الفاطميّين بمال جزيل، ومشى بعساكر وخلق كثير إلى لقائه عدّة مراحل، ولمّا وصل رفعه على رأسه ووضعه في كيس حرير أخضر على كرسيّ من خشب الآبنوس، وقيل: صنعوا له صندوقاً من الذهب وفرشوا تحته المسك والطيب، وبنى عليه الوزير الصالح المشهد الحسيني المعمور المعروف بالقاهرة.[٤]

واختلف في محلّ مدفن الرأس الشريف؛ فمن قائل أنّه حمل إلى أهله، فكفّن ودفن بالبقيع عند أُمّه الزهراء وأخيه الإمام الحسن،[٥] وقال آخرون: أُعيد إلى كربلاء ودفن مع الجثّة الطاهرة،[٦] والّذي عليه جماعة من أعيان أهل الله أنّه بالمشهد العامر بمصر وأنّ القطب يزوره كلّ يوم بالمشهد الشريف المذكور، والكثير من أهل الكشف يؤيّدون هذا، ولا ريب، فبركته في المشهد القاهري ظاهرة لاتخفى على صاحب ذوق ـ رضي الله عنه وسلام الله عليه ـ .

وقال الشريف ابن الأعرج في كتابه «بحر الأنساب»:

وكان له ـ يعني الإمام الحسين ـ ستّة أولاد: عليّ الأكبر، أُمّه شهربانو بنت

---

١. في المخطوطة: «عقيل»، ومثله في تاج المواليد، والمثبت هو الصواب.

٢. لم أعثر على بحر الأنساب، وجميع ما نقله هنا موجود في كتاب تاج المواليد لأبي‌علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي (مجموعة نفيسة)، ص ٨٦ ـ ٨٧. والظاهر أنّ عبيدالله الأعرجي أخذ منه.

٣. انظر: اللهوف، ص ١٠١ وما بعده؛ أمالي الصدوق، المجلس ٣١، ح ١.

٤. معجم البلدان ١٤٢/٥.

٥. الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة) ٤٩٠/١؛ المنتظم ٣٤٤/٥؛ مقتل الحسين للخوارزمي ٧٥/٢.

٦. أمالي الصدوق، المجلس ٣١، ح ١؛ رسائل الشريف المرتضى ١٣٠/٣؛ روضة الواعظين، ص ٢١٢؛ التذكرة للقرطبى ٢٤٥/٢؛ فيض القدير ٢٠٥/١؛ مقتل الحسين للخوارزمي ٧٥/٢.

يزدجرد؛[1] وعليّ الأصغر قتل مع أبيه، أُمّه ليلى بنت أبي مرّة بن عروة بن مسعود الثقفيّة؛ وجعفر، أُمّه قضاعيّة، وكان وفاته في حياة أبيه الحسين، ولا بقيّة له؛ وعبدالله، قتل مع أبيه صغيراً، جاءه سهم وهو في حجر أبيه؛ وسكينة، وأُمّها رباب بنت امرئ القيس بن عدي، وهي أُمّ عبدالله أيضاً؛ وفاطمة أُمّها أُمّ إسحاق بنت طلحة بن عبدالله ـ أيّدنا الله ببركتهم ـ. انتهى.[2]

السيّدة زينب ـ رضي الله عنها ـ بنت الإمام عليّ ـ كرّم الله وجهه ـ

روت زينب عن أُمّها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وكانت محبّبة لأبيها رضي الله عنه، خرجت إلى عبدالله الجواد بن جعفر الطيّار ـ رضي الله عنهما ـ فولدت له جعفراً وعوناً الأكبر وأُمّ كلثوم وعليّاً.

قال السيوطي في «رسالته الزينبيّة»:

ولدت لعبدالله عليّاً وعوناً الأكبر وعبّاساً ومحمّداً وأُمّ كلثوم.[3] قال: وذرّيّتها إلى الآن موجودون بكثرة، وهم أيضاً من أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله.[4]

نعم، لأولاد الحسن والحسين خصوصيّة لا يوازيهم فيها غيرهم، وهي بيّنة في قوله صلى الله عليه وآله: «لكلّ بني أُمّ عصبة إلّا ابني فاطمة؛ أنا وليّهما وعصبتهما».[5] وفي رواية: «كلّ بني أُمّ ينتمون إلى عصبة إلّا ولد فاطمة فأنا وليّهم وعصبتهم».[6]

---

١. بصائر الدرجات، ص ٣٥٥، ح ٨؛ الكافي ٤٦٦/١ ـ ٤٦٧، باب مولد علي بن الحسين، ح ١؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام ١٢٨/٢ (٦)، و ٤٠/١ (١)؛ كمال الدين، ص ٣٠٥، ح ١؛ الإرشاد ١٣٧/٢؛ شرح الأخبار ٢٦٦/٣؛ العدد القويّة، ص ٥٦، ح ٧٣؛ لباب الأنساب ٣٥٠/١؛ روضة الواعظين، ص ٢٠١؛ عيون المعجزات، ص ٦٢؛ الملاحم والفتن لابن طاووس، ص ٣٧٢. ولم يصرّح في بعضها باسمها واكتفت بأنّها بنت يزدجرد.

ولا يخفى أنّ بعض المحقّقين يشكّكون في الرأي القائل بأنّ شهربانو بنت يزدجرد أُمّ زين العابدين عليه السلام لوجود الاختلاف في اسمها واسم والدها وزمان اسرها، واستبعاد وقوع أسر عائلة الملك، لبعدهم عن ساحة الحرب، إلى غير ذلك من الشواهد والقرائن. ورغم أنّ مجموع استدلالاته جدير بالتأمل، إلا أنّه لا يوجب الاطمئنان إلى ردّ هذه الحادثة المشهورة؛ لأنّ الاختلاف في جزئيات واقعة لا توجب كذب أصل الواقعة، فإنّ المصادر كافّة متفقة على أنّ امرأة من أُسرة الملكيّة في إيران أُسرت بأيدي المسلمين، وأنّه قد حصل الزواج بينها وبين الإمام الحسين عليه السلام، والمصادر الّتي ذكرنا بعضها آنفاً أقوى دلالة من القرائن الّتي ذكر هذا البعض في ردّها.

٢. لم أعثر على بحر الأنساب، وانظر تاج المواليد للطبرسي (مجموعة نفيسة) ص ٨٨.

٣. ذخائر العقبى، ص ١٦٧؛ سبل الهدى والرشاد ٥١/١١؛ تذكرة الخواص ٦٨٤/١، ذكر أولاد عبدالله بن جعفر.

٤. لم أعثر على الرسالة الزينبيّة، وقاله أيضاً في الحاوي ٣٠/٢، وحكاه عنه الصالحي في سبل الهدى والرشاد ٥١/١١.

٥. المستدرك ١٦٤/٣.

٦. مسند أبي يعلى ١٠٩/٢ (٦٧٤١)؛ تاريخ مدينة دمشق ١٤/٧٠، ترجمة فاطمة بنت الحسين.

والسيّدة زينب هي المدفونة بقناطر السباع،[١] وقد صحّح ذلك جماعة من أهل القلوب، وكان سيّدي[٢] عليّ الخوّاص يخلع نعله في عتبة الدرب، ويمشي حافياً حتّى يجاوز مسجدها ويقف تجاه وجه مرقدها، ويتوسّل إلى الله تعالى بها أن يغفر له، وكنّا نرى مشايخنا الأعلام يتبرّكون بزيارتها ويتوسّلون إلى الله تعالى إذا زاروا قبرها المبارك بها في حوائجهم، فتقضى بإذن الله تعالى، وقد جرّبت ذلك في نفسي فما داخلني أمر مهمّ وزرتها بنيّة تفريجه إلّا وفرّجه الله عنّي أسرع ما يكون.

ورأيت في مجموع شيخنا الشيخ أحمد المنصوري الأحمدي رحمه الله بيتين ذكر أنّه أنشدهما في حاجة فقضاها الله له:

إلهي بزينب بنت البتول ... سليلة خير الوجود الرسول

أغثني وفرّج كروبي فقد ... سألت بزينب أرجو القبول

ولم أقف لها على تاريخ وفاة.[٣] ويقال لولدها: الزينبيّون. وقد أطنب في ذكرها العبيد [لـ]ي النسّابة صاحب «أخبار المدينة المشرّفة» ـ على ساكنها وذرّيّته وأصحابه أفضل الصلاة والسلام ـ.[٤]

السيّدة الطاهرة رقيّة أُخت الإمام الحسين بنت الإمام عليّ ـ كرّم الله وجهه ـ

ماتت ـ رضي الله عنها ـ قبل البلوغ ودفنت في المشهد القريب من دار الخليفة،[٥] ومعها جماعة آخرون من أهل البيت ـ رضي الله عنهم ـ، وهذا المشهد الشريف تجاه مسجد شجرة الدرّ.

---

١. انظر: أخبار الزينبات، ص ١١٨ و ١٢١ و ١٢٢.

ولا يخفى وجود الخلاف في محلّ دفنها عليها السلام، فقال بعض أنّها دفنت بالبقيع؛ لأنّه لم يثبت خروجها من المدينة بعد رجوعها إليها. وقال بعض أنّها دفنت بالشام، وقبرها مشهورة يزار، وقد تعرّض العلامة السيّد محسن الأمين في أعيان الشيعة ١٤٠/٧ للأقوال مع أدلّتها، ونحن نجتنب من التعرّض للأدلّة؛ لأنّ البناء على الاختصار.

٢. ملاحظة: كلمة «سيّدي» المثبتة أعلاه هي في لفظ المصريّين وفي لهجتهم هكذا: «سِيْدِي» ولأنّها لهجة دارجة لم أُثبتها وإنّما أثبتّها «سيّدي». وتليها موارد كثيرة مثل سيدي أحمد وسيدي إبراهيم و....

٣. روى العبيدلي النسّابة في أخبار الزينبات، ص ١٢٢، بإسناده إلى هند بنت أبي‌رافع بن عبيدالله أنّها قالت: توفّيت زينب بنت علي عشيّة يوم الأحد لخمسة عشر يوماً مضت من رجب سنة ٦٢ من الهجرة.

وروى في ص ١١٨ أنّها عليها السلام قدمت مصر لأيّام بقيت من رجب [سنة ٦٢ من الهجرة]، فأقامت به أحد عشر شهراً وخمسة عشر يوماً، فتوفّيت.

٤. يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيدالله الأعرج بن الحسين الأصغر بن الإمام زين‌العابدين عليه السلام العبيدلي العقيقي، المتوفّى بمكّة سنة ٢٧٧هـ، وهو أوّل من صنّف في أنساب الطالبيين، له كتاب «أخبار الزينبات»، ذكر فيها الزينبات من ولد أبي‌طالب ثم ولد ولده.

٥. معجم البلدان ١٤٢/٥ «مصر». وقد ثبت في التاريخ أنّ رقيّة بنت أميرالمؤمنين عليها السلام هي أُمّ عبدالله بن مسلم بن عقيل بن أبي‌طالب المقتول بكربلاء، فلاحظ: تاريخ الطبري ٣٥٩/٤، حوادث سنة إحدى وستّين؛ الكامل في التاريخ ٩٣/٤؛ المعارف لابن قتيبة، ص ٢٠٤؛ رجال الطوسي، ص ١٠٣، ترجمة عبدالله بن مسلم (١٠٠٥)؛ مقاتل الطالبيين، ص ٦٢؛ الثقات لابن حبّان ٣١١/٢.

أخبرني شيخنا ومولانا شيخ الإسلام [ابن] برهان الدين علي الحلبي[۱] ـ نفعنا الله بـه ـ أنّـه أحـاط به همّ وألم فأكثر من الصلاة على النبيﷺ فما مضى أيّام حتّى رأى السيّد[ة] رقيّـة ـ رضي الله عنهـا ـ فقالت: يا عليّ، زرنا في محلّنا والحاجة مقضيّة. وعرّفتني مكان مـشهدها المعـروف المـشهور، فزارهـا ففرّج الله عنه بأيسر وقت، وكان لا ينقطع عن زيارتها، وقد جرّب ذلک كثير من إخواننـا وأصـحابنا فرأوا بركة ذلک، والحمدلله ربّ العالمين.

السيّدة العظيمة القدر سكينة بنت سيّدنا الإمام الحسين ـ رضي الله تعالى عنهما ـ

اسمها أُميمة وقيل: أمينة، وسكينة لقب غلب عليها،[۲] أُمّها الرباب كانت زوجة الحسين، ولمّا قتلرضي الله عنه خطبها جماعة من الأعيان، فقالت: لا أتّخذ حموا بعد رسول اللهﷺ.[۳] تزوجّت بابن عمّهـا عبـدالله بـن الحسن، فقتل عنها بالطفّ،[۴] فتزوّجت بعد بغيره، وكـان الحـسينعليه السلام يقـول: «سـكينة غالـب عليهـا الاستغراق مع الله تعالى، فلا تصلح لرجل».

وممّا يدلّک على استغراقها مع الله ما نقله الشيخ محمّد المعروف بـ«ابـن حمّـاد» الموصـلي في كتابـه «الروضة» عن النوفلي، قال:

> خرج لسكينة سلعة من أسفل عينها وكبرت حتّى أخذت جميع وجهها، فقالـت لدرافس: أما ترى ما نزل بي؟ فقال لها: أ تصبري حتّى أُعالجـک؟ قالـت: نعـم. فأضجعها وشقّ وجهها أجمع وسلخ اللحم من عينهـا حتّـى ظهـرت عروقهـا، وسلّ عروق السلعة من تحت الحدقة حتّى أخرجها وردّ الحدقة إلى مكانها، وردّ الجلد كماكان وهي مضطجعة لا تتحرّک، ثمّ لاطفهـا حتّـى برئـت، وبقـي أثـر ذلک في مؤخّر عينها، فكان أحسن شيء في وجههـا مـن حـلي وزينـة، ولم يـؤثّر ذلک في عينها شيء.

---

۱. علي بن برهان الدين إبراهيم بن أحمد الحلبي القاهري الشافعي، ولد سنة ۹۷۵ بمصر وتوفّي سنة ۱۰۴۴ بالقاهرة، من تصانيفه الكثيرة إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون المشهور بالسيرة الحلبيّة.

۲. مقاتل الطالبيين، ص ۵۹؛ تاريخ مدينة دمشق ۱۲۰/۶۹، ترجمة رباب بنـت امـرئ القـيس (۳۳۳۷)، و ص ۲۰۴، ترجمة سكينة بنت الحسين (۹۳۶۱).

۳. تذكرة الخواص ۲۰۴/۲ ـ ۲۰۵؛ تاريخ مدينة دمشق ۱۲۰/۶۹؛ الفصول المهمّة ۸۳۹/۲ ـ ۸۴۰؛ المحبّر، ص ۳۹۷.

۴. تاريخ مدينة دمشق ۲۰۵/۶۹، ترجمة سكينة بنت الحسين (۹۳۶۱).

وهي مدفونة بالقرافة بالقرب من السيّدة نفيسة، كذا نصّ شيخنا الحلبي في سيرته وغير واحد ـ رضي الله عنها ـ.[١]

السيّد الجليل محمّد الأنور

هو ابن زيد بن الحسن بن علي بن أبي‌طالب، والمنقول عن النسّابين عدم ذكر محمّد هذا في أولاد زيد بن الحسن. والّذي رواه الذهبي أنّه ابن زيد، والله أعلم.

قال الشعراني ـ رحمه الله ونوّر مرقده ـ في «مننه»:

أخبرني سيّدي علي الخوّاص أنّ الإمام محمّد الأنور عمّ السيّدة نفيسة في المشهد القريب من عطفة جامع ابن طولون، ممّا يلي دار الخليفة في الزاوية الّتي هناك، ينزل لها[٢] بدرج.

السيّد الكبير حسن الأزهر ابن زيد بن الحسن بن علي ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ

ولي المدينة للمنصور العبّاسي،[٣] وكان من أعيان العلويّين وأشرافهم.

قال الذهبي: مات في طريق الحجّ.[٤]

وقال غيره: حدث. وكان ثقة.[٥]

قال ابن الأعرج في «بحر الأنساب» عند ذكره زيد بن الحسن بن علي:

كان يكنّى أبا الحسن، وكان شريفاً نبيهاً يتولّى صدقات رسول الله ﷺ وعاش تسعين سنة، وقيل: مئة سنة، وأُمّه فاطمة بنت أبي‌مسعود عقبة بن عمرو بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي.[٦]

---

١. لم أعثر على ذلك في السيرة الحلبيّة، وقال ياقوت في معجم البلدان ١٩/٤ طبرية: «وفي ظاهر طبرية قبر يرون أنّه قبر سكينة، والحقّ أنّ قبرها بالمدينة». ووفاتها بالمدينة مذكورة في تاريخ الإسلام ٣٧٣/٧؛ والطبقات الكبرى ٤٧٥/٨، ترجمتها؛ وتاريخ خليفة بن خياط، ص ٢٧٤؛ والثقات لابن حبّان ٣٥٢/٤؛ وتاريخ مدينة دمشق ٢١٨/٦٩. وفي باب الصغير بدمشق قبر منسوب إليها، فهو غير صحيح لعدم دليل تاريخي عليه. كما لم نجد دليل تاريخي على دفنها بالقاهرة.

٢. في المخطوطة: بها.

٣. ميزان الاعتدال ٤٩٢/١، ترجمة رقم ١٨٥٠؛ تقريب التهذيب ٢٠٤/١، ترجمته برقم ١٢٤٦.

٤. تاريخ الإسلام ١٣٠/١٠.

٥. تهذيب التهذيب ٢٤٣/٢، ترجمته برقم ٥٠٦.

٦. انظر: سرّ السلسلة العلوية، ص ٤ ـ ٥ و ٢٠.

قال السيّد سراج الدين الرفاعي في «صحاح الأخبار»:

زيد أعقب ولداً اسمه الحسن، ولا عقب لزيد بن الحسن إلّا منه، وهو أعقب من سبعة رجال: القاسم أبي‌محمّد، وعلي الشديد، وإسماعيل، وإسحاق الأعور الكوكبي، وأبي[1] طاهر زيد، وعبدالله، وإبراهيم.[2]

وقال بعض النسّابة: إنّ العقب من زيد في خمسة أولاد، والّذي صحّحه الجمهور أنّ العقب من هؤلاء السبعة الّذين ذكرناهم، وكلّهم ينتهون إلى زيد من ابنه الحسن أمير المدينة، كان عليها من قبل المنصور الدوانيقي، و[3] هو أوّل من أُلبس زيّ السواد للعبّاسيّة من العلويّين، مات وله من السنّ ثمانون سنة،[4] وفيه يقول الشاعر:

إلى الحسن بن زيد باب رضوى ... نجوب الليل وهناً والأكاما

إلى رجل أبوه أبوالمعالي ... وأكرم بعد من صلّى وصاما

أ أُشتم أن أُحبّك يا ابن زيد ... وأن أهدي التحيّة والسلاما

وقد سلفت عليّ له أياد ... تعيش الروح منّي والعظاما

وكان هو المقدّم من قريش ... ورأس العزّ منها والسناما

وعقبه منتشر من هؤلاء السبعة الّذين تقدّم ذكرهم في العراق والحجاز والمغرب.

قال الشريف ابن الأعرج في «بحر الأنساب»: وله بنت اسمها نفيسة.

قلت: وسيأتي ذكرها ـ رضي الله عنها وعنهم ـ.

قدم الحسن هذا إلى مصر ومعه ابنته السيّدة نفيسة،[5] وكان يسمّى شيخ الشيوخ، وكان كثير الحلم والكرم، صاحب تواضع ومعرفة بالله، دخل عليه بعض الشعراء فأنشده:

الله فرد وابن زيد فرد

فقال: بفيك الأثلب، ألا قلت:

---

۱. في المخطوطة: ابن.

۲. ومثله في عمدة الطالب، ص ۷۱؛ وسرّ السلسلة العلوية لأبي نصر البخاري، ص ۲۲.

۳. في المخطوطة: أو.

۴. سر السلسلة العلوية، ص ۲۱.

۵. وفيات الأعيان ۴۲۳/۵، ترجمة السيّدة نفيسة؛ والوافي بالوفيات ۱۰۱/۲۷، ثمّ قالا: «ولكنّه غير مشهور». ثمّ اختارا أنه توفّي بالحاجز في طريق الحجّ، وقالا: إنّها دخلت مصر مع زوجها إسحاق المؤتمن بن جعفر الصادق عليه السلام.

الله فرد وابن زيد عبد

ونزل عن سريره وألصق خدّه بالأرض.[١]

نقل الشعراني في «مننه» عن شيخه علي الخوّاص أنّ قبر السيّد الإمام الحسن بن زيد في التربة الّتي تقرب من جامع القرّاء، بين مجراة القلعة وجامع عمرو[٢] ـ رضي الله عنه ونفعنا به ـ.

السيّدة رفيعة الشأن نفيسة بنت السيّد الإمام حسن الأزهر ابن السيّد زيد الأبلج ابن الحسن السبط عليه السلام

قال الشريف ابن الأعرج في «بحر الأنساب»: أُمّ نفيسة لبانة بنت عبدالله بن العبّاس بن عبدالمطّلب،[٣] وكانت تحت العبّاس بن علي، وقتل عنها يوم الطفّ فتزوجها زيد بن الحسن.[٤]

حكى بعضهم أنّها خرجت إلى الوليد بن عبدالملك الأموي.[٥]

وقال الثقات بأنّ نفيسة المشهورة بمصر الّتي يسمّيها أهل مصر الستّ نفيسة ويعظّمون شأنها هي بنت الحسن بن زيد، زوجة إسحاق بن جعفر الصادق، وكان الإمام الشافعي رضي الله عنه يروي عنها، ولمّا مات أُدخل بأمر منها إليها، فصلّت عليه.[٦]

قلت: ولدت بمكّة سنة خمس وأربعين ومئة، ونشأت بالمدينة على الزهد والعبادة؛ صائمة النهار قائمة الليل، لا تفارق حرم جدّها صلى الله عليه وآله وحجّت ثلاثين حجّة، وكانت تحفظ القرآن وتفسيره،[٧] وتكثر قراءته بالبكاء والتدبّر، وكراماتها لا تعدّ ولا تحصى، وكان لها التصرّف في البرزخ.

وقال جماعة من أعيان العارفين: إنّ من أعظم أرواح السلف من أهل البيت تصرّفاً في البرزخ روح السيّدة نفيسة والسيّد أحمد ابن الرفاعي رضي الله عنه.

---

١. الظاهر أنّ هذه القصة للحسن بن زيد العلوى صاحب طبرستان وهو الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبيطالب، الملقب بالداعي إلى الحقّ والداعي الكبير وبالداعي الأوّل المتوفّى سنة سبعين ومئتين، على ما في البداية والنهاية ٥٥/١١، والكامل لابن الأثير ٤٠٧/٧، حوادث سنة سبعين ومئتين.

٢. في المخطوطة: عمر.

٣. الطبقات الكبرى ٣١٨/٥، ترجمة زيد بن الحسن، وفيها: «لبابة».

٤. انظر: المجدي، ص ٢٣١، ولد العبّاس بن علي بن أبيطالب. وفيه: «لبابة».

٥. عمدة الطالب، ص ٧٠.

٦. وفيات الأعيان ٤٢٤/٥؛ الوافي بالوفيات ١٠١/٢٧.

٧. في المخطوطة: وتفسّره. انظر: الأعلام للزركلي ١٦/٩ ـ ١٧.

وقد أشار إلى ذلک الشيخ الشعراني في «مننه» والديريني في «محاضراته» وغير واحد، وقد جرّب الناس زيارتها لقضاء الحاجات، ولها المشاهد العظيمة لكشف المهمّات.

وقد أجمع أهل التاريخ وأصحاب السير على وفاتها ـ رضي الله عنها ـ بمصر، ودفنت بدرب السباع بمزار مخصوص،[١] وحفرت قبرها بيدها في البيت الّذي كانت مقيمة به بعد وفاة الإمام الشافعي رحمه الله بأربع سنين، وذلک سنة ثمان ومئتين، وقد اتّفق أهل الله على أنّ قبرها المبارک أحد المواضع المعروفة بإجابة الدعاء بمصر، وأوّل من بنى على قبرها الشريف عبيدالله بن السري،[٢] وقيل: غير واحد، والناس قديماً وحديثاً يختلفون في مصر لزيارتها ويرون بركة ذلک جهاراً ـ سلام الله عليها وعلى آبائها الطاهرين أجمعين ـ.

السيّد الجليل علي زين‌العابدين ابن الإمام الحسين ـ عليهما الرضوان والسلام ـ

قال الشريف ابن الأعرج في «بحر الأنساب»:

> هو عليّ، وكنيته أبومحمّد، ويقال أيضاً: أبوالحسن، ولقبه زين‌العابدين والسجّاد وذو الثفنات، وإنّما لقّب به لأنّ مساجده كثفنة البعير من كثرة صلاته ـ رضوان الله عليه وسلامه ـ.[٣]

وقال الواقدي: ولد سنة ثلاث وثلاثين، فيكون عمره يوم الطفّ ثمانياً وعشرين سنة.[٤]

وقال الزبير بن بكّار: كان عمره يوم الطفّ ثلاثاً وعشرين سنة،[٥] وكان مريضاً، وتوفّي سنة خمس وتسعين من الهجرة،[٦] يوم السبت، الثامن عشر من المحرّم،[٧] وفضائله أكثر من أن تحصى أو يحيط بها

---

١. وفيات الأعيان ٤٢٤/٥؛ الوافي بالوفيات ١٠١/٢٧.

٢. عبيدالله بن السري بن الحكم، أمير مصر في زمن مأمون العباسي، بايع له الجند سنة ٢٠٦هـ، وأقرّه المأمون، توفّي سنة ٢٥١هـ بسرّ من رأى.

٣. انظر ترجمته عليه السلام في الإرشاد ١٣٧/٢؛ وإعلام الورى ٤٨٠/١؛ وكشف الغمة ٦/٣؛ ومناقب آل أبي‌طالب ١٨٩/٤؛ وتذكرة الخواص ٣٨٢/٢ ـ ٣٨٣.

٤. عنه في شرح الأخبار ٢٦٦/٣؛ وعمدة الطالب، ص ١٩٣.

٥. عنه في عمدة الطالب، ص ١٩٣. ومثله في الطبقات الكبرى لابن سعد ٢١٢/٥.

٦. الكافي ٤٦٦/١ و ٤٦٨؛ الإرشاد ١٣٧/٢؛ المقنعة، ص ٤٧٢؛ روضة الواعظين ٢٠١/١؛ تاريخ الأئمة، ص ٨؛ الدرّ النظيم، ص ٥٩١.

٧. إعلام الورى ٤٨١/١؛ مطالب السؤول، ص ٤٢٣، ولم يذكر يومه من الاسبوع، وفيه: سنة أربع وتسعين. وقيل: خمس وتسعين.

الوصف، وكان أميرالمؤمنين ولّى حريث[١] بن جابر الحنفي جانباً من المشرق فبعث إليه ببنتي يزدجرد بن شهريار، فنحل ابنه الحسين أحدهما وهي شهربانو، وقيل: شاه زنان،[٢] فأولدها زين‌العابدين، ونحل الأُخرى محمّد بن أبي‌بكر، فأولدها القاسم الفقيه ابن محمّد بن أبي‌بكر، فهما ابنا خالة،[٣] وعاش عليه السلام سبعاً وخمسين سنة،[٤] مع جدّه أميرالمؤمنين سنتين، ومع عمّه الحسن ثلاثاً وعشرين سنة إلّا شهراً، وكانت مدّة إمامته بقيّة ملك يزيد بن معاوية وملك مروان بن الحكم وملك عبدالملك بن مروان وملك الوليد بن عبدالملك، وفي ملكه استشهد عليه السلام.[٥]

وكان له خمسة عشر ولداً: أبوجعفر محمّد الباقر، أُمّه فاطمة بنت الحسن بن علي بن أبي‌طالب عليه السلام؛ وأبوالحسين زيد الشهيد وعمر الأشرف، أُمّهما أُمّ ولد؛ وعبدالله والحسن والحسين، أُمّهم أُمّ ولد؛ والحسين الأصغر وعبدالرحمان وسليمان لأُمّ ولد؛ وعلي الأصغر وكان أصغر ولد أبيه؛ وخديجة، أُمّهما أُمّ ولد؛ ومحمّد الأصغر، أُمّه أُمّ ولد؛ وفاطمة وعليّة وأُمّ كلثوم.[٦]

وعقبه من ستّة رجال: محمّد الباقر وعبدالله الباهر وزيد الشهيد وعمر الأشرف والحسين الأصغر وعلي الأصغر.[٧]

قال في «صحاح الأخبار»: ليس على وجه الأرض من حسيني إلّا وينتهي عقبه للإمام زين‌العابدين،[٨] وقد اشتهر أنّ المشهد المعمور بمصر، القريب من مجراة القلعة، بقرب مصر القديمة، مشهد الإمام زين‌العابدين، قال ذلك الشعراني في «طبقاته».[٩]

والصحيح أنّ الإمام زين‌العابدين عليه السلام مات سنة أربع وتسعين[١٠] ودفن في البقيع مع عمّه الإمام

---

١. في النسخ: «حديث»، والمثبت هو الصحيح الموافق لترجمة الرجل.
٢. هذا هو الصحيح الموافق لجميع المصادر، وصحف في النسخ بـ «ربان».
٣. مناقب آل أبي‌طالب ٢٠٨/٣؛ سرّ السلسلة العلوية، ص ٣١؛ عمدة الطالب، ص ١٩٢. وانظر ما تقدّم في ترجمة والده الإمام الحسين عليه السلام.
٤. الكافي ٤٦٦/١ و ٤٦٨؛ الإرشاد ١٣٧/٢؛ تذكرة الخواص ٤١٣/٢؛ دلائل الإمامة، ص ١٩١.
٥. دلائل الامامة، ص ١٩١.
٦. الإرشاد ١٥٥/٢.
٧. عمدة الطالب، ص ١٩٤، عقب الإمام زين‌العابدين علي بن الحسين عليه السلام.
٨. انظر: عمدة الطالب، ص ١٩٢؛ تذكرة الخواص ٢٤٠/٢؛ الطبقات الكبرى للشعراني، ص ٨٩، ترجمة علي بن الحسين، و ص ٩١، ترجمة محمد الباقر.
٩. الطبقات الكبرى، ص ٩٠، آخر ترجمة علي بن الحسين عليه السلام.
١٠. الطبقات الكبرى ٢٢١/٥؛ المعارف، ص ٢١٥؛ المنتظم ٣٢٦/٦؛ صفة الصفوة ١٠٢/٢؛ تاريخ مدينة دمشق ٣٦١/٤١؛ تذكرة الخواص ٤١١/٢؛ سير أعلام النبلاء ٤٠٠/٤؛ تهذيب الكمال ٤٠٣/٢٠؛ وفيات الأعيان ٢٦٩/٣.

الحسن ـ سلام الله عليه ـ، والمشهد المنسوب لزين‌العابدين بمصر يقال: إنّ فيه رأس الإمام زيد ابن الإمام زين‌العابدين عليهما السلام،[١] ولا بدع فهذا الجزء من ذلك الكلّ، والحالّ منهم في البرزخ كالحالّ في التيّار، ولهم أن تجول أرواحهم في مراقدهم السعيدة ولا شكّ، فكلّ قبر من قبورهم النورانيّة أوسع من الدنيا بمرّات، نفعنا الله بمحبّتهم، وأماتنا على مودّتهم، آمين.[٢]

السيّد الكبير زيد ابن الإمام زين‌العابدين ابن الإمام الحسين ـ عليهم السلام والرضوان ـ

أخذ الحديث عن أصحاب الحسن البصري، وعنه أخذ أُمّة،[٣] وإليه ينسب الزيديّة، كان إماماً جليلاً، مجتهداً عظيم القدر، ومناقبه أجلّ من أن تحصى، وفضله أكثر من أن يوصف، وكان حليف القرآن، كثير الأحزان، لا يفتر عن ذكر الرحمان، مات شهيداً بأمر هشام بن عبدالملك ـ عامله الله بما يستحقّ ـ، وكان الّذي ولي أمر قتاله يوسف بن عمر الثقفي، ويقال: رماه مملوك يوسف بن عمر يقال له: راشد ـ لا أرشده الله ـ فأصاب بين عينيه، فلمّا نزعوا السهم منه كانت نفسه معه.[٤]

قال ابن الأعرج في «بحر الأنساب» ناقلاً عن الأسدي أنّه قال:

> جئنا به إلى ساقية تجري في بستان فحبسنا الماء من هاهنا وهاهنا، ثمّ حفرنا له وأجرينا الماء عليه، وكان معنا غلام سندي، فذهب إلى يوسف بن عمر فأخبره، فأخرجه يوسف من الغد فصلبه في الكناسة، فمكث أربع سنين مصلوباً، ومضى هشام وكتب الوليد بن يزيد إلى يوسف بن عمر: أمّا بعد، فإذا أتاك كتابي هذا فاعمد إلى عجل أهل العراق[٥] فحرّقه ثمّ انسفه في اليمّ نسفاً، فأنزله وحرّقه ثمّ ذراه في الهواء.
>
> وقال الناصر الكبير الطبرستاني: لمّا قتل زيد بعثوا برأسه إلى المدينة ونصب عند قبر النبي صلى الله عليه وآله يوماً وليلة.[٦]

---

١. الطبقات الكبرى لعبدالوهاب الشعراني، ص ٩، آخر ترجمة علي بن الحسين عليه السلام.
٢. تأتي في خاتمة الكتاب قصيدة الفرزدق في مدح الإمام زين‌العابدين عليه السلام.
٣. انظر: تهذيب الكمال ٩٥/١٠ ـ ٩٦، ترجمة زيد بن علي بن الحسين برقم ٢١٢٠.
٤. عمدة الطالب، ص ٢٥٧؛ سرّ السلسلة العلوية، ص ٥٨.
٥. في المخطوطة: العرق.
٦. انظر: تاريخ الطبري ٥٠٥/٥ و ٥٠٦، حوادث سنة اثنتين وعشرين ومئة.

وكان قتله على ما قال الواقدي سنة إحدى وعشرين ومئة.

وقال محمّد بن إسحاق بن موسى: قتل زيد على رأس مئة سنة وعشرين سنة وشهر وخمسة عشر يوماً.

وقال الزبير بن بكّار: قتل سنة اثنين وعشرين ومئة، وهو ابن اثنين وأربعين سنة.

وقال ابن خردادبه: قتل وهو ابن ثمان وأربعين سنة.

وروى بعضهم أنّ قتله كان في النصف من صفر سنة إحدى وعشرين ومئة.

وحدّث عن بعضهم أنّه قال: لمّا قتل زيد بن علي وصلب رأيت رسول الله ﷺ قائماً مستنداً إلى خشبة، وهو يقول: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، أ يفعلون هذا بولدي؟!

وروى غير واحد أنّهم صلبوه مجرّداً، فنسجت العنكبوت على عورته من يومه، ورثي زيد بمراث كثيرة،[1] منها ما قيل:

مصيبة زيد إنّها لعظيمة ... إذا ذكرت يوماً نسيت المصائبا

قتيلاً نبيشاً بارزاً فوق جذعة ... بوجنته يلقى الظبا والقواضبا

وقد صحّ أنّ رأسه الشريف نقل إلى مصر، ودفن بين الكومين بطريق جامع ابن طولون، وقد أظهر محلّه الأفضل، فكشف عن المسجد الّذي فيه رأسه الشريف، فوجد الرأس المبارك، فضمّخ بالطيب وعطّر وحمل إلى دار الأفضل، إلى أن عمّر هذا المشهد.

وقال آخرون: قدم برأسه سنة اثنين وعشرين ومئة، وبني عليه المشهد الّذي بقرب مجراة القلعة، بالقرب من مصر القديمة،[2] واتّفق أهل القلوب على أنّ الدعاء عنده مستجاب ـ رضي الله عنه ونفعنا به ـ.

السيّد الشامخ المقام إبراهيم بن زيد ـ عليهما الرضوان والسلام ـ

قال الشعراني في «مننه»: «أخبرني سيّدي علي الخوّاص أنّ رأس السيّد إبراهيم ابن الإمام زيد في المسجد الخارج، بناحية المطريّة ممّا يلي الخانقاه».

---

١. جميع ما حكاه عن بحر الأنساب إلى هنا موجود في عمدة الطالب، ص ٢٥٧ ـ ٢٥٨، إلا أنّ راويه سعيد بن خثيم. وانظر: مقاتل الطالبيين، ص ٩٨؛ وتاريخ الطبري ٥٠٥/٥، حوادث سنة اثنتين وعشرين ومئة.

٢. وفيات الأعيان ١٢٢/٥ ـ ١٢٣.

وهذا خلاف ما عليه النسّابون، فإنّهم لم يذكروا في أولاد زيد من اسمه إبراهيم، وعلى هذا فلعلّه من ذرّيّته، وإلّا فأولاده على ما ذكر ابن الأعرج في «بحر الأنساب» والعمري[1] في «مبسوطه» وابن ميمون في «مشجّره» وغير واحد: هم أربعة: يحيى الأكبر، وهو لم يعقب؛ والحسين وعيسى ومحمّد، وهؤلاء الثلاثة معقبون.[2]

والّذي أراه أنّ السيّد إبراهيم الّذي ذكره الشعراني هو إبراهيم طباطبا ابن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنّى ابن الإمام الحسن السبط ـ عليه وعليهم الرضوان والسلام ـ، فإنّ جماعة من النسّابين ذكروا قدومه إلى مصر،[3] وهو والد السيّد القاسم الرسّي دفين الرسّ، قرية من قرى المدينة المنوّرة ـ على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ـ.

وكان القاسم أكثر أهل زمانه علماً، مات سنة خمس وعشرين وثلاثمئة، ولبني طباطبا بقيّة بمصر، منهم أبوالقاسم أحمد بن محمّد بن إسماعيل ابن السيّد إبراهيم طباطبا الكبير ـ رضي الله عنهم ـ، كان نقيب الطالبيّين بمصر،[4] وكان من أكابر رؤسائها، ذكره القاضي ابن خلّكان[5] والإمام المحقّق ابن الأعرج في «بحر الأنساب» والعمري في «مبسوطه» وغير واحد.

وبالجملة، فمشهده فيه جماعة كثيرون من أهل بيت النبيﷺ ومنهم بنو الثجّ بمصر، ولهم ذيل عظيم.

والّذي يظهر لي أنّ السيّد إبراهيم هو ابن السيّد أبي‌الحسن محمّد بن طباطبا، فإنّ ابن الأعرج ذكر أنّ إبراهيم هذا مات بمصر.[6]

ومن هذه الفصيلة الطاهرة السيّد أبوالقاسم أحمد ابن الشعراني الرسّي، وقد ذكر له ابن الأعرج شعراً، منه قوله وهو في غاية اللطف:

---

۱. علي بن محمّد بن علي بن أبي‌الطيّب محمّد أبوالحسن العمري، ينتهي نسبه إلى عمر الأطرف بن أميرالمؤمنينعليه‌السلام، انتهى إليه علم النسب في زمانه وصنّف فيه كتاب «المبسوط» و «المجدي» و «الشافي» و «المشجّر»، وكان يسكن البصرة ثمّ انتقل منها سنة ۴۲۳ وسكن الموصل، ودخل بغداد مراراً آخرها سنة ۴۲۵، وكان حياً إلى ما بعد سنة ۴۴۳.

۲. عمدة الطالب، ص ۲۵۸ ـ ۲۵۹، المقصد الثالث في عقب زيد الشهيد؛ جمهرة أنساب العرب لابن حزم ۵۶/۱.

۳. لم نعثر على ذلك في مصدر، وانظر: عمدة الطالب، ص ۱۷۲ ـ ۱۷۳.

۴. تاريخ الاسلام ۳۲۲/۲۵؛ الوافي بالوفيات ۲۳۸/۷؛ البداية والنهاية ۲۶۲/۱۱ ـ ۲۶۳، حوادث سنة ست وأربعين وثلاثمئة.

۵. وفيات الأعيان ۱۲۹/۱.

۶. لم نعثر على كتاب ابن الأعرج.

خلـــيليَّ إنّي للثريّـــا لحاســـد وإنّي عـلى صرف الزمـان لواجـد
أ يجمـع منهـا شـملها وهـي سـبعة وأفقـد مـن أحببتـه وهـو واحـد[1]

وبالجملة، فهذا البيت بيت حافل بالفضائل والفتوّة، وطافحة فيه أنوار النبوّة ـ نفعنا الله بخلفه وسلفه الطاهرين أجمعين ـ.

السيّدة الرفيعة الجناب عائشة بنت الإمام جعفر الصادق عليه السلام

قال الشعراني في «مننه»:

أخبرني سيّدي علي الخوّاص أنّ السيّدة عائشة ابنة جعفر الصادق في المسجد الّذي له المنارة القصيرة، على يسار من يريد الخروج من الرميلة إلى باب القرافة.

قال ابن ميمون:

كانت من العابدات المجاهدات، وكانت تقول: وعزّتك وجلالك لئن أدخلتني النار لآخذنّ توحيدي بيدي وأطوف به على أهل النار، وأقول: وحّدته فعذّبني.

ماتت سنة خمس وأربعين ومئة، لقبها أُمّ فروة، كانت تحت عمر بن عبدالعزيز رحمه الله.[2]

السيّد القاسم الزكي رضي الله عنه

قال جماعة: هو ابن جعفر الصادق، وهو وأُخته السيّدة أُمّ كلثوم مدفونان بالقرافة، ولكن لم يذكر أحد من النسّابين للإمام جعفر الصادق ولداً اسمه القاسم، والّذي أراه أنّه القاسم بن محمّد الديباج ابن الإمام جعفر الصادق،[3] وأُمّ القاسم هذا أُمّ الخير بنت حمزة بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن السبط ـ عليهم الرضوان والسلام ـ.

---

١. المجدي في أنساب الطالبيين، ص ٧٦. وفيه: «ويؤخذ منّي سيّدي وهو واحد»؛ وفيات الأعيان ١٢٩/١؛ تاريخ الإسلام ٣٢٢/٢٥ ـ ٣٢٣؛ الوافي بالوفيات ٢٣٨/٧؛ يتيمة الدهر ٤٩٨/١.

٢. أُم فروة بنت الإمام جعفر الصادق عليه السلام مذكورة في كثير من كتب التراجم، منها: الإرشاد ٢٠٩/٢؛ دلائل الإمامة، ص ٢٤٧؛ تذكرة الخواص ٤٥٧/٢؛ كشف الغمّة ١٦٣/٣؛ مناقب آل أبيطالب ٤٠٠/٣. ولم أرتسميتها باسم عائشة بل يظهر من مناقب آل أبيطالب أنّ اسمها أسماء حيث قال: «ابنته أسماء أُم فروة الّتي زوّجها من ابن عمّه الخارج. ويقال: له ثلاث بنات: أُم فروة من فاطمة بنت الحسين الأصغر، وأسماء لأُم ولد، وفاطمة من أُم ولد». كما لم نعثر على مصدر لتزويجها بعمر بن عبدالعزيز، بل المذكور في المصادر أنّها تزوّجت بابن عمّها الحسين بن زيد بن علي بن الحسين. فانظر: تاريخ مواليد الأئمة، ص ٣١؛ دلائل الإمامة، ص ٢٤٧؛ مناقب آل أبيطالب ٤٠٠/٣، ترجمة جعفر بن محمد الصادق عليه السلام.

٣. انظر: عمدة الطالب، ص ٢٤٦، وفيها: «يقال لولده بنوالشبيه، فمن ولده عبدالله بن القاسم الشبيه، له عقب بمصر... ومن ولده القاسم الشبيه، علي بن القاسم يعرف ولده ببني العروس وبني الخوارزمية، وأكثرهم أيضاً بمصر... ومن ولد القاسم الشبيه، يحيى الزاهد بن القاسم، له عقب بمصر».

وأمّا السيّدة أُمّ كلثوم فهي عمّة القاسم هذا، وبنت الإمام جعفر الصادق لصلبه الطاهر، وقبرها بمصر بلاريب، وقد اتّفق على ذلك النسّابون،[1] ونصّ الكثير من أهل الله على أنّ الزيارة لها والتوسّل إلى الله سبحانه وتعالى بها وبمن جاورها من آل بيت النبي عليهم السلام من أعظم أسباب النجاح وتفريج الكربات، وكيف لا، وهم أحباب الله وخاصّته في أرضه، وحبله بين عباده، وعترة رسوله عليهم السلام، وما أحسن قول بعضهم:

هم القوم من أصفاهم الودّ مخلصا ... تمسّک في أُخراه بالسبب الأقوى

هم القوم فاقوا العالمين مناقبا ... محاسنهم تحكى وآياتهم تروى

موالاتهم فرض وحبّهم هدى ... وطاعتهم ودّ وودّهم تقوى[2]

وممّا ينسب إلى الشيخ محيي الدين بن عربي ـ طاب ثراه ـ :

رأيت ولائي آل طاها فريضة ... على رغم أهل البعد يورثني القربا

فما طلب المبعوث أجراً على الهدى ... بتبليغه إلّا المودّة في القربى[3]

وما أعذب قول إمامنا الشافعي ـ رضي الله تعالى عنه ـ :

يا آل بيت رسول الله حبّكم ... فرض من الله في القرآن أنزله

يكفيكم من عظيم الفخر أنّكم ... من لم يصلّ عليكم لا صلاة له[4]

ونقل ابن حمّاد[5] في تاريخه «روضة الأعيان» لبعضهم قوله:

يا سائلي عن حبّ آل المصطفى ... وما الّذي من حبّهنّ أجد

هيهات ممزوج بلحمي ودمي ... حبّهم وهو الهدى والرشد

هم المنا وسادتي وعدّتي ... وإن لحاني معشر وفنّدوا

هم حجج الله على عباده ... وهم إليه المنتهى والمقصد

هم أسّسوا قواعد الدين لنا ... وهم بنوا أركانه وشيّدوا

---

١. انظر: المجدي في أنساب العلويين، ص ٩٥.

٢. الظاهر أنّها لإبراهيم بن محمّد الحمّوئي الجويني من أعلام القرن السابع والثامن، انظر: فرائد السمطين ٢٠/١، مقدّمة المؤلّف.

٣. عنه ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة ٤٨٨/٢.

٤. عنه الزرندي في نظم درر السمطين، ص ١٨، وابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة ٤٣٥/٢ و ٥٠٧.

٥. محمد بن أبي‌بكر بن علي بن عبدالملك بن حمادي الموصلي الرفاعي، المعروف بابن دكين، مؤرخ من أهل موصل، توفي سنة ٧٥٠هـ. ق، وكتابه «روضة الأعيان في أخبار مشاهير الزمان»، مخطوطة لم يطبع.

قـوم لهـم مجـد وفـضل بـاذخ ... يعرفـه المـشرك والموحّـد
قوم رسـول الله أضـحى جـدّهم ... يـا حبّـذا الوالـد ثـمّ الولـد
حسبک يا هذا وحسب من بغـى ... علـيهم يـوم المعـاد الـصمد

وقال دعبل من قصيدة طويلة:

مـدارس آيـات خلـت مـن تـلاوة ... ومنـزل وحـي مقفـر العرصـات
لآل رسـول الله بـالخيف مـن منـى ... وبالبيـت والتعريـف والجمـرات
قفـا نـسأل الـدار الّتـي بـان أهلهـا ... متـى عهـدها بالـصوم والـصلوات
وأيـن الأُولى شـطّت بهـم غربـة النـوى ... أفـانين بـالأطراف مفترقـات
هـم أهـل مـيراث النبـي إذا انتمـوا ... وهـم خـير سـادات وخـير حمـاة
تقـسّمهم ريـب المنـون فـلا تـرى ... لهـم عفـوة مغـشية الحجـرات
بنفـسي ثقـاة مـن كهـول وفتيـة ... لفـكّ عنـاة أو لتحميـل[1] رايـات
إذا أُوتـروا مـدّوا إلى واتـريهم ... أكفّـاً عـن الفحـشاء منقبـضات
وإن فخـروا يومـاً أتـوا بمحمّـد ... وجبريـل والفرقـان والـسورات
أُحـبّ قـصي الـرحم مـن أجـل حـبّهم ... وأهجـر فـيهم زوجتـي وخـواتي
ولـولا الّـذي أرجـوه في اليـوم أو غـد ... لقطّـع قلبـي بيـنهم قطعـات
خـروج إمـام لا محالـة عـادل[2] ... يقـوم عـلى اسـم الله والبركـات
يميّـز فينـا كـلّ حـقّ وباطـل ... ويجـزي عـلى الـنعمات والـنقمات
فيـا نفـس طيبـي ثـمّ يـا نفـس ابـشري ... فغـير بعيـد كـلّ مـا هـو آت
ولا تجزعـي مـن مـدّة الجـور واصـبري ... كـأنّي بهـا قـد آذنـت ببتـات[3]

---

١. في المخطوطة: لحمل.

٢. كذا في النسخ، وفي غالب المصادر: «لا محالة خارج»، وفي بعضها: «لا محالة واقع».

٣. هذه القصيدة من أشهر القصائد، تبلغ عدد أبياتها ١٢٠ بيتاً، والمذكور في ديوان دعبل الّذي جمعه عبدالصاحب عمران الدجيلي ١١٥ بيتاً، ولها مصادر عديدة، منها: عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢٩٤/٢، باب ٦٦؛ كمال الدين، ص ٣٧٣؛ العدد القوية، ص ٢٨٣ ـ ٢٩١؛ بغية الطلب ٣٥٠٠/٧ ـ ٣٥٠٣؛ معجم الأدباء ١٠٣/١١ ـ ١١٠، تذكرة الخواص؛ كشف الغمّة ٤٣٨/٣ ـ ٤٣٩ و ٤٥٩، وذكر محقّقه في هامشه مصادر عديدة، وأورد جميع الأبيات في ص ٤٤٢ ـ ٤٥٨.

ورأيت في «إرشاد المسلمين لطريقة شيخ المتّقين» مؤلّف الشيخ الإمام الحجّة عزّالدين أحمد الفاروثي ـ قدّس الله روحه ـ بيتين لطيفين أوردهما بعد ذكر نسب القطب الأكبر سيّدي أحمد الرفاعي الحسيني رضي الله عنه ناسب ذكرهما في هذا المقام تبرّكاً بآل بيت النبي ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وهما:

من معشر حبّهم فرض ... قال بذاك السماء والأرض

يشفع للناس غداً جدّهم ... إذا أخاف الأُمم العرض

وما أحسن قول شاعر العرب[1] في هذا النسب المنتخب:

يا أيّها الرجل المحمّل[2] رحله ... هلا نزلت بآل عبد مناف

هبلتک أُمّک لو نزلت برحلهم ... منعوک من عدم ومن إقراف

الخالطين غنيّهم بفقيرهم ... حتّى يعود فقيرهم كالكافي

وما ألطف قول صاحب «المشكاة» ـ رحمه الله تعالى ـ:

قريش خيار بني آدم ... وخير قريش بنوهاشم

وخير بني هاشم كلّهم ... سراج الوجود أبوالقاسم

وأشرف كلّ الورى بعده ... سلالته الطهر من فاطم

صلوات الله وسلامه وتحيّاته وإكرامه عليه وعليهم أجمعين في كلّ وقت وحين، أبد الآبدين ودهر الداهرين.

السيّد القطب الكبير علي الرفاعي رضي الله عنه

شاع عند العامّة بمصر أنّ السيّد عليّاً الرفاعي هذا هو القطب الأكبر والغوث الأشهر، أوّل الأقطاب الأربعة المشاهير، سلطان الأولياء والعارفين، السيّد محيي الدين أحمد الرفاعي الحسيني الكبير، صاحب أُمّ عبيدة رضي الله عنها، وقد اعتقدوا ذلک اعتقاداً لاشكّ فيه عندهم، والحال أنّ السيّد علي صاحب الرباط المعمور والمشهد المزور بمحلّة السباع هو ابن السيّد القطب عزّ الدين أحمد الصيّاد، سبط الإمام القطب السيّد أحمد الكبير الرفاعي، وله قصّة اتّفق رواتها.

قال النسّابة ابن الأعرج في كتابه «بحر الأنساب»:

---

١. وهو مطرود بن كعب الخزاعي، على ما السيرة النبويّة لابن هشام ١١٥/١، وفاة عبدالمطّلب.

٢. كذا في النسخ، وفي سائر المصادر: «المحوّل».

ولد السيّد العارف بالله وليّ الله، شيخ وقته، مولانا السيّد عزّ الدين أحمد الصيّاد ابن الإمام السيّد عبدالرحيم الرفاعي الحسيني ـ رضي الله عنهما ـ عام أربع وسبعين وخمسمئة قبل وفاة جدّه لأُمّه غوث الثقلين أبي العلمين، سيّدنا السيّد أحمد الكبير الرفاعي رضي الله عنه بأربع سنين، ولمّا كبر سلك على يد أخيه أبي الحسن عبدالمحسن قدس سره وبصحبته تخرّج وتفقّه، وتلقّى علم التفسير والحديث من الشيخ عبدالمنعم الواسطي، مفتي الجنّ والإنس، واتّفق فقراء هذه الطريقة وشيوخ الطائفة على أنّه لم يرفع طرفه إلى السماء قطّ؛ حياء من الله تعالى، وكان كثير الخشوع والحياء من الله تعالى، زائد البكاء، قليل الكلام.

أجازه جدّه القطب الكبير الرفاعي رضي الله عنه حال موته وهو ابن أربع سنين، وبشّر به، وأثنى عليه الخير، وذكر أنّ الأُسود تزوره بعده، ونوّه على ما له من المكانة والمنزلة الرفيعة.

كان أسمر اللون، طويل القامة، حسن الوجه، أكحل العينين، وسيع الجبهة، خفيف الوجود، لطيف المنظر، ذا هيبة وسكينة ووقار، نوراني الطلعة، لا يتمكّن الإنسان من إباحة النظر إليه، لجلالة قدره.

تزوّج ببنت عمّه السيّد عبدالسلام قدس سره المسمّاة بـ«رقيّة» ـ رحمها الله ـ، فأعقب منها السيّد عبدالرحيم فقط، وتوفّيت ولم تعقب غيره.

ثمّ لمّا اشتهر أمر السيّد عزّ الدين أحمد، وعظم أمره، وسار في الآفاق ذكره، خاف على نفسه من آفة الشهرة، فخرج من العراق عام اثنين وعشرين وستّمئة وقصد الحجاز، وتشرّف بزيارة جدّه سيّد الأنام ـ عليه أكمل الصلاة وأفضل السلام ـ.

ثمّ حجّ واعتمر، وجاور بالمدينة المنوّرة تسع سنين، وظهرت على يديه الكرامات، وبنى رباطاً في المدينة المنوّرة بالقرب من سقيفة الرصاص معروفاً بـ«رباط الرفاعي»، وأخذ عنه الطريقة ابن نميلة الحسيني، حاكم المدينة ـ على ساكنها أفضل الصلوات والتسليمات ـ؛ والإمام عبدالكريم بن محمّد الرافعي القزويني، صاحب «الشرح الكبير» على «الوجيز»؛ والشيخ علم الدين بن محمّد

السخاوي، صاحب «شرح الشاطبيّة» و «المفضّل» وغيرهما من الكتب في كلّ علم؛ والشيخ العارف بالله تاج الدين الأبيدري؛ وخلائق، وتتلمذ له أُناس لا يحصى عددهم.

ودخل مصر عام ثمانية وثلاثين وستّمئة، وأقام في المسجد الحسيني، وأقبل عليه الناس، وتتلمذ له العلماء والشيوخ وأكابر الرجال والأشراف، وحضر مجلسه وحلقة ذكره جمال الدين أبوعمرو بن الحاجب رحمه الله وانتسب إليه خلق كثيرون، وبنوا له بمصر رباطاً مباركاً في محلّة السباع، وتزوّج بدرّيّة خاتون من آل الملك الأفضل، وأقام بمصر سنتين، وهاجر منها وترك زوجته بدرّيّة حاملة، فولدت له السيّد عليّاً[1] المعروف بـ«أبي الشبّاك»، وهو أنّ السيّد عزّ الدين أحمد الصيّاد لمّا عزم على الهجرة قال لزوجته: خذي هذا العقد الجوهر، فإن رزقك الله بنتاً علّقيه لبّة في عنقها، وإن رزقك الله غلاماً ذكراً اربطيه بزنده على ذراعه، وها أنا سأذهب، فإذا كبر المولود وأراد أن يجتمع عليّ وكنت حيّاً فليأت إلى هذا الشبّاك الّذي سأخرج منه، إن شاء الله، وليضرب الشبّاك بيده فإنّه ينفتح له ويراني حيثما كنت، وأراه بإذن الله.

ثمّ قام فضرب الشبّاك بيده ففتح له وخرج منه وغاب عن النظر وطاف اليمن ونزل الشام ودخل دمشق، وعمّر زاوية في ميدان الحصا تعرف بـ«زاوية الرفاعي»، وخرج منها أيضاً، وآل أمره أن دخل متكين ـ قرية من أعمال معرّة النعمان من أعمال حلب ـ، نزلها بعد الظهر سنة ثلاث وأربعين وستّمئة، يوم خميس، وكان إذ ذاك في القرية المذكورة من أهلها الشيخ الصالح الصوفي الزاهد الشيخ عبدالرحمان بن علوان، وفي بيته أُخته الصالحة خضراء أُمّ الخير، وكانت في غاية الجمال إلّا أنّها أُقعدت من أربع سنين، ففي تلك الليلة رأت في منامها رجلاً يقول: عليك بهذا، وأشار لها إلى رجل أسمر اللون، طويل القامة، حسن المنظر، أسود اللحية، خفيف العارضين، رفيع القوام، وسيع الجبهة، أزهر المحيا، ثمّ قال لها: هذا صاحب الوقت، تمسّكي بحبل ولايته ويعافيك الله. فلمّا أصبحت

١. في المخطوطة: علي.

أخبرت أخاها الشيخ عبدالرحمان بذلک وقالت: بالله عليک تفقّد قريتنا علّ أن يقدم عليها اليوم أحد أهل الوقت، فإنّ هذه إشارة صادقة. فقام الشيخ عبدالرحمان وتفقّد القرية فرأى الشيخ الأجلّ، القطب الأكمل، مولانا السيّد أحمد الصيّادﷺ ومعه ابن أخيه القطب الجليل الشيخ شرف الدين أبوبكر ابن مولانا الشيخ الأصيل السيّد عبدالمحسن أبي‌الحسن ابن عبدالرحيم الرفاعي ـ رضي الله عنهم ـ، فدعاه وابن أخيه إلى بيته ثمّ ذكر له رؤيا اُخته، وطلب منه أن يقرأ عليها ما تيسّر، فطلب منه أن يعقد له عليها فأجاب، فعقد له عليها، فدخلﷺ عليها البيت وأخذ بيدها وقال: قومي بإذن الله، فقامت في الحال، وتزوّج بها، ومنها ذرّيّته الطاهرة، وأكبرهم شيخ الإسلام صدر الدين عليﷺ.

وأمّا زوجته الخاتون بدرّيّة حفيدة الملک الأفضل فإنّها ولدت بعد هجرة السيّد من مصر غلاماً نجيباً أديباً سمّته السيّد عليّاً،[1] ومرضت بعد ولادته فأسرّت والدتها خبر العقد والكيفيّة الّتي جرت لها مع زوجها السيّد أحمدﷺ وتوفّيت ـ رحمها الله ـ فكفلت ولدها السيّد عليّاً[2] جدّته، وبقيﷺ عند أخواله آل الملک الأفضل إلى أن بلغ حدّ الرجال وزهد وتصوّف وعظّم الناس شأنه، فدخل يوماً بيت جدّته وبكى، فسألته عن السبب الّذي أبكاه فقال: إنّي أودّ أن رأيت والدي، وعرفته وعرفت عشيرتي وخبر عزوتي منه، فقصّت عليه قصّة عقد الجوهر وربطته على ذراعه وعرّفته الشبّاک الّذي ضربه أبوه، فجاء تجاه الشبّاک وقرأ ما تيسّر وضرب الشبّاک، ففتح له وأبصر نفسه في متكين بين يدي والده، وتلقّى عنه وبقي عنده أيّاماً، وألبسه خرقته وألحّ عليه بالعود إلى مصر، فعرّفه أنّ القسمة الأزليّة خصّصته بمصر وحده، فقنع لذلک ورجع كما أتى، وبعدها كبرت شهرته في مصر، وتخرّج بصحبته الرجال، وانتسب إليه أهل القطر المصري على الغالب، وبنى الرباط المشهور المدفون فيه الآن بمحلّة سوق العارض، ويقال: سوق السلاح، بالقرب من رميلة مصر، وقبره فيه ظاهر يزار، ويعمل له مولد جليل بمصر. انتهى كلامه.

---

١. في المخطوطة: علي.

٢. في المخطوطة: علي.

توفّي السيّد عزّ الدين أحمد الصيّاد رضي الله عنه بمتكين ـ قرية بين[1] المعرة وكفر طاب ـ وله رباط ومشهد شهير بديار الشام، وولده السيّد علي أبو الشبّاك الرفاعي ـ دفين مصر ـ توفّي سنة سبعمئة، وأبوه شريف الطرفين؛ فإنّ أُمّه وليّة الله الشريفة زينب بنت السيّد الشريف والسند الغطريف، ربّ المناقب المسلسلة، شيخ من لا شيخ له، مرشد الإسلام، رحمة الله للخاصّ والعامّ، قطب الأقطاب، رئيس أُولي الألباب، محيي الملّة والدين، صاحب منقبة لثم يد الرسول الأمين، سيّدنا وشيخنا السيّد أحمد الكبير الرفاعي رضي الله عنه ابن السيّد السلطان علي أبي‌الحسن ـ دفين بغداد ـ ابن السيّد يحيى المغربي ابن السيّد الثابت ابن السيّد الحازم ابن السيّد أحمد ابن السيّد علي ابن السيّد أبي‌المكارم رفاعة الحسن المكّي ابن السيّد المهدي ابن السيّد محمّد أبي‌القاسم ابن السيّد الحسن ابن السيّد الحسين[2] ابن السيّد أحمد ابن السيّد موسى الثاني ابن الإمام إبراهيم المرتضى ابن الإمام موسى الكاظم ابن الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمّد الباقر ابن الإمام زين‌العابدين علي ابن الإمام الشهيد المظلوم الحسين السبط ابن الإمام علم الإسلام زوج البتول أُمّ الحسنين عليهم السلام سيّدنا عليّ ـ كرّم الله وجهه ورضي عنه ـ، وهو ـ أعني السيّد عزّ الدين أحمد الصيّاد، كما ذكر ابن الأعرج النسّابة في «بحر الأنساب»؛ ونقيب النقباء بمصر أبوعلي محمّد ابن القاضي الكامل أسعد بن علي الحسيني الجوّاني النسّابة ـ رحمه الله تعالى ـ في «مشجّره»؛ والشيخ الكبير الشريف محيي الدين أحمد بن سلمان الهمامي الحسيني الرفاعي، شيخ الرواق المعمور بالهلاليّة، بظاهر القاهرة، في كتاب «مناقب ابن الرفاعي رضي الله عنه»؛ والشريف حسين ابن الأهدل في «مشجّره»؛ وغير واحد ـ: عزّ الدين أحمد أبوعلي ويعرف بـ«الصيّاد» ابن السيّد ممهّد الدولة والدين عبدالرحيم ابن السيّد سيف الدين عثمان[3] ابن السيّد حسن ابن السيّد محمّد عسلة ابن السيّد الحازم، الجدّ الجامع لفروع بني رفاعة الحسينيّين سكّان المشرق ـ رضي الله عنهم ـ، وقد سبق ذكر نسب السيّد الحازم في نسب السيّد الكبير الرفاعي رضي الله عنه مسلسلاً إلى إمام الأئمّة وعين فحول أشراف الأُمّة، أسد الله الغالب، أمير المؤمنين سيّدنا علي بن أبي‌طالب ـ كرّم الله وجهه ورضي الله عنه ـ.

---

١. في المخطوطة: من.

٢. في عمدة الطالب، ص ٢١٣ ـ ٢١٤: وقد نسب بعضهم الشيخ الجليل سيّدى أحمد ابن الرفاعي إلى حسين بن أحمد الأكبر، فقال: هو أحمد بن علي بن يحيى بن ثابت بن حازم بن علي بن الحسن بن مهدي بن القاسم بن محمّد بن الحسين المذكور. ولم يذكر أحد من علماء النسب للحسين ولداً اسمه محمّد، وحكى لي الشيخ النقيب تاج الدين أنّ سيدي أحمد ابن الرفاعي لم يدّع هذا النسب، وإنّما ادعاه بعض أولاد أولاد أولاده، والله أعلم.

٣. في المخطوطة: زيادة «ابن السيّد ممهّد الدولة والدين عبدالرحيم ابن السيّد سيف الدين عثمان».

تنبيه

إنّ هذا البيت الأحمدي بيت طالت في دوحة الشرف المحمّدي أغصانه، وسبحت في بحبوحة المجد النبوي أفنانه، وضربت في سينا المفاخر العلويّة أطنابه، وشمخت إلى ذروة المعالم الفاطميّة أسبابه، وهو أعظم نسب انعقد عليه عند العلماء بهذا الشأن الإجماع، وتقرّطت بدراري مناقب رجاله الآذان وشنّفت الأسماع، وتسلّقت كبكبة شرفه يافوخ دعامة المجد، وتفرّدت عصابة فخره في يمين تهامة ويسار نجد، ضبطه الرجال الثقات بأوثق التآليف الراجحة، وأثبته أشياخ الحفّاظ وأعيان الأئمّة الهداة بالتصانيف الواضحة، حتّى كاد لايعزب منه ولا السقط إلّا وهو في سقط كنوز تآليفهم مسطور، وخبره كما قضى به الله سبحانه مفصّل في تصانيفهم ومذكور، باعتناء خالص لوجه الله وخدمة لهذه الأرومة، وتقرّباً بالنبيّ ـ صلّى الله تعالى عليه وسلّم ـ بإعلاء مجد هذه الجرثومة، ولم يتمّ هذا الضبط الوثيق والثبت الحقيق لعصابة أُخرى من الفروع الهاشميّة الزكيّة، وإن كانت سلاسلهم مصونة الجانب مذكورة المزيّة.

والعجب كلّ العجب من بعض المشايخ الّذين أهملوا ذكر هذه العصابة الّتي هي أزكى العصائب الحيدريّة رجالاً، وأعظم لسلاسل البتوليّة مقاماً وحالاً، ومرّوا على تراجمهم فساقوا بها بعض الكلمات الّتي توهم الجاهل قطع حبلهم عن جدّهم، وتؤذن لدى المغفّل بحطّ مجدهم، وصاروا سبباً لمسّ مقامهم بوهم الجاهلين، حالة كونهم صدور بني الطهر فاطمة أجمعين، وأطنبوا في من مسّهم الحكم الشرعي وأعجزهم عن الدفاع، واشتهر ذلک عند محقّقي هذا الشأن في جميع البلاد والبقاع.

وأعجب من هذا أنّ بعضهم ذكر في كتبه شرف هذه الطائفة ذكراً صريحاً، وروى لها من رواية النسب النبوي خبراً صحيحاً، وغفل عن تفصيل ما أجمل، وقد يكبو الجواد، وينبو الزناد، ومن أُولئک الشيخ عبدالوهّاب الشعراني رحمه الله فإنّه جاء بترجمة السيّد الكبير أحمد الرفاعي رضي الله عنه بألفاظ مقتصرة، وتعبيرات مختصرة، مثل قوله في «طبقاته» حين ترجمه: «الشيخ الكامل شيخ الطريق سيّدي أحمد ابن أبي‌الحسن الرفاعي رضي الله عنه، منسوب إلى بني‌رفاعة، قبيلة من العرب».

فما أدري من أين أتى الشيخ رحمه الله بهذه النسبة بعد أن كتب في «طبقاته الوسطى»، في الباب الأوّل، في ذكر مناقب الصحاة من المسلكين، ما نصّه:

«وقد سبقني إلى ذكر مشايخه في التصوّف وذكر مناقبهم ومفاخرهم الشيخ الإمام العالم الربّاني، المجمع على جلالته الشيخ عبدالعزيز الديريني ـ رضي الله تعالى عنه ـ فذكر مشايخه في التصوّف، ومشايخه في العلوم الظاهرة في أُرجوزة، وها أنا ملخّص

لک ما يتعلّق بمشايخه في التصوّف هنا، وما يتعلّق بمشايخه في العلوم الظاهرة في الباب بعده، فأقول وبالله التوفيق: قال سيّدي عبدالعزيز، وهو نحو لسان حالي أيضاً:

الله أرجـــو لـــيس غـــير الله ... والله حـــسب الطالـــب الأوّاه
ثـمّ الـصلاة والـسلام النـامي ... عـــلى النبـــيّ ســـيّد الأنـــام
وآلـــه وصـــحبه وعترتـــه ... وكـــلّ مـــن تابعـــه مـــن أُمّتـــه
وهـــذه أُرجـــوزة وجيـــزة ... ضـــمّنتها مقاصـــد عزيـــزة
في ذكـر مـن بـالعلم والـصلاح ... بـــدا عليـــه علـــم الفـــلاح
ممّـــن صـــحبت لرجـــاء النفـــع ... ولاجـتماع الـشمل يـوم الجمـع
أرجـو بـذكراهم بقـاء الـذكر ... لهـم وفـوزي بجزيـل الأجـر
وكـــلّ عبـــد مـــع مـــن أحبّـــه ... بـــصادق الـــصحبة والمحبّـــة
وحرمـــة الـــسادات في الإفـــادة ... كحرمـــة الآبـــاء في الـــولادة
والحـرّ مـن يرعـى وداد لحظـه ... وينتمـــي لمـــن أفـــاد لفظـــه
وآن أن أذكـــر أهـــل المعرفـــة ... والـــصدق والحقـــائق المـــشرّفة
لأنّهـــم عاشـــوا بـــأُنس الـــربّ ... سرّاً وذاقـــوا مـــن شراب الحـــبّ
فهـم جلـوس في نعـيم الحـضرة ... وجـوههم في نـضرة مـن نظـرة
وكـــلّ مـــن أولاه[1] ربّ العـــزّة ... فهـــو الّـــذي بعـــزّه أعـــزّه
وقـــد تعلّقنـــا بقطـــب العـــصر ... مـــنهم فـــنحن في ســـناه نـــسري
شـــيخ الأنـــام أحمـــد الرفـــاعي ... حـــين أتانـــا مـــن حمـــاه داعـــي
فـــنحن بـــين أحمـــد وأحمـــد ... نـــسير في نـــور هـــدى ونهتـــدي
رســـولنا نبيّنـــا محمّـــد ... وشيخنا القطب الشريف أحمد
وشيخنا الشيخ أبوالفتح الأسد ... لنـــا بـــه إلى الرفـــاعي مـــستند
صـــحبته نحـــو ثـــلاث عـــشره ... مـــن الـــسنين إذ أخـــذت أثـــره
ثـــمّ صـــحبت الـــسادة الكبـــارا ... أصـــحابه المـــشايخ الأخيـــارا

---

۱. في المخطوطة: والاه.

والأُرجوزة طويلة جدّاً، وقد ذكرها الشعراني بنصّها إلى قول الشيخ الإمام عبدالعزيز الديريني رحمه الله:

لم يبق في الستّين والستّمئة ... في الناس من أصحابهم إلّا فئة»

انتهى كلام الشعراني.

ومنها تعلم أنّ الشيخ عبدالعزيز نظم هذه الأُرجوزة في سنة ستّين وستّمئة، وهو قدس سره توفّي سنة أربع وتسعين عن تسعين سنة، ولم يكن بينه وبين الإمام السيّد أحمد ابن الرفاعي من الوسائط سوى الشيخ الكبير أبي الفتح ابن أبي الغنائم الواسطي، نزيل الإسكندريّة ـ رضي الله عنهما ـ، وهو من رجال عصر السيّد أحمد الرفاعي، وكان عمره يوم وفاته قريباً من اثني عشر سنة، وقد أدرك أولاده وأسباطه المباركين وبني أخيه وأُخته كلّهم، وهو بشهادة الشعراني وغيره إمام مجمع على جلالة قدره وورعه وصدقه، وقد قال في أُرجوزته الّتي ذكرناها:

نبيّنا رسولنا محمّد ... وشيخنا القطب الشريف أحمد

وقد أجمع الأئمّة وعامّة الأُمّة بمصر في عهد الديريني وقبله من زمن الفاطميّين إلى الآن على تخصيص آل الحسنين بالشرف، وعلى الخصوص بديار مصر، وقد نصّ على ذلك الحافظ السيوطي رحمه الله، وله بهذا الباب تفصيلات جيّدة في «رسالته الزينبيّة»، ومثله قال الحافظ ابن حجر وغيره بلا نكير، فكيف فات الشيخ الشعراني رحمه الله أن يفصّل ما أجمل بعد أن أحاط علماً بمثل أُرجوزة الإمام الديريني؟

وأعجب من هذا أنّ شيخ مشايخه في الخرقة هو الشيخ الإمام عزّ الدين أحمد الفاروثي رحمه الله وإليه ينتهي سنده في الخرقة، كما نصّ على ذلك في «طبقاته الوسطى»، وهو قدس سره مؤلّف «إرشاد المسلمين لطريقة شيخ المتّقين» يعني الأُستاذ الرفاعي رضي الله عنه، وقد سلسل في كتابه نسب السيّد الرفاعي من طريق أبيه وأُمّه إلى النبي صلى الله عليه وآله وإلى الصحابي الجليل أبي أيّوب خالد بن زيد الأنصاري النجّاري رضي الله عنه، ونصّ عليه أُمّة من الأكابر، كما سيأتي.

ولم أهتمّ بهذا إلّا اعتناء بشرف رسول الله عليه السلام وانتصاراً لهذه السلالة الطاهرة الّتي هي من أشرف هذه الفضائل البتوليّة الزاهرة، قال شيخنا الإمام العلامة برهان الدين علي الحلبي القاهري، صاحب «السيرة النبويّة»: «لا يرتاب في نسب السيّد أحمد الرفاعي إلّا جاهل أو منافق مبتدع».

وقال: «هو أصحّ الأقطاب الأربعة نسباً».

وقال: «من جهل ذلک فليراجع إلى الكتب المؤلّفة بشأنه من زمنه المبارک إلى الآن، فإنّها طافحة بإيضاح كيفيّة اتّصاله بجدّه ﷺ إيضاحاً وثيقاً رفيع الأسانيد، لم يتّفق لغيره من الأشراف الكرام على الغالب».

وقد ذكر صاحب «القاموس»، العلامة الفيروزآبادي البكري أُمّ عبيدة بلدة سيّدي السيّد أحمد فقال: «أُمّ عبيدة ـ كسفينة ـ : قرية قرب واسط بها قبر السيّد أحمد الرفاعي».[1]

وأنت تعلم أنّ تخصيص السيادة بآل فاطمة ـ رضي الله عنها وعنهم ـ أمر شايع متواتر لا نزاع فيه، أطبق عليه المسلمون خلفاً وسلفاً، وقد ألّف عمّ صاحب «القاموس»، الإمام العارف النحرير البكري الكبير إبراهيم بن محمّد بن إبراهيم الكازروني[2] كتاباً باللغة الفارسيّة حافلاً بمناقب السيّد أحمد الرفاعي سمّاه «شفاء الأسقام في سيرة غوث الأنام»، توّج رأس الكتاب المذكور بنسبه الشريف، كما سبق إلى النبيّ ﷺ، وهو أيضاً من معاصري الإمام الديريني، ومن الّذين أدركوا زمن الحضرة الرفاعيّة، ومن أعيان العلماء المحقّقين.

وقد ألّف الإمام الحجّة الرحلة الحافظ قاسم بن محمّد بن الحجّاج بن علي بن أبي‌بكر بن الفضل الواسطي الشافعي ﷺ مجلّداً ضخماً في مناقب السيّد أحمد الرفاعي وسمّاه «أُمّ البراهين بتصحيح اليقين في إشارات الصالحين»، صدّره بذكر نسبه إلى الإمام الحسين السبط ـ عليه الرضوان والسلام ـ وذكر فيه قصّة مدّ يد النبيّ ﷺ يوم حجّ وزاره ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأنّه قال عند القبر الطاهر: السلام عليک يا جدّي. فقال له ﷺ: وعليک السلام يا ولدي. ومدّ له يده الشريفة من قبره الكريم حتّى قبّلها والناس ينظرون ويسمعون كلام النبيّ ﷺ له، وبهذه القصّة الشريفة كفاية لإثبات نسبه المسعود لجدّه سيّد الوجود، ورحم الله الإمام عزّ الدين الفاروثي فإنّه قال بعد نقل هذه القصّة في «نفحته»:

لم يأت في نسب الرجال شهادة كشهادة الآباء للأبناء

وسلسل نسب الجناب الأحمدي للنبيّ ـ عليه الصلاة والسلام ـ .

وقد نصّ صاحب «أُمّ البراهين» أنّه ألّف كتابه المذكور سنة ثمان وسبعين وستّمئة، فلا تغفل.

وقد أفرد لترجمة السيّد أحمد شيخ مشايخ الإسلام الإمام المجتهد الحجّة عبدالكريم الرافعي الشافعي القزويني ﷺ وصنّف في مناقبه مختصراً سمّاه «سواد العينين»، صدّره بذكر نسبه الشريف إلى حضرة المصطفى ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ ، وقال بعد أن ذكر النسب المبارک:

---

١. القاموس المحيط ٣١١/١، فصل العين.

٢. هو عمّ الفيروزآبادي صاحب القاموس، وله أيضاً: «الميزاب في نسب سيّد الأقطاب»، و «البرهان المؤيّد» في مناقب السيّد الرفاعي. انظر: معجم المؤلّفين ٨٢/١.

نسب قلادته الفخيمة كلّها حتّى الرسول فرائد وعصائم

انتهى.

ووفاة الرافعي سنة ثلاث وعشرين وستّمئة.[١]

وروى شيخ الإسلام أحمد بن جلال اللاري الحنفي خليفة القطب زين الدين الخافي ـ رحمهما الله تعالى ـ كتاباً سمّاه «جلاء الصدا بسيرة إمام الهدى»، يعني الرفاعيﷺ، أطنب فيه كلّ الإطناب، وذكر نسبه الطاهر مسلسلاً إلى جدّه الرفيع الجناب، وقال بعد ذلك:

وأرى السيادة لا يكون تمامها لنجيب قوم ليس بابن نجيب

نسب تورّث كابراً عن كابر كالرمح أُنبوباً على أُنبوب

ووفاته قبل التسعمئة، وبقي قول الشعرانيﷺ أنّ الأُستاذ الأكبر الرفاعيﷺ منسوب إلى بني‌رفاعة، قبيلة من العرب. فما أظنّ إلّا أنّ الناسخ نقص نقطة، فكتب العرب بعين مهملة، وإلّا فالصحيح من الغرب، بنقطة فوق الغين المعجمة، وهذا أمر متّفق عليه.

وإنّك إذا راجعت إلى كتب النسّابين المحقّقين رأيتهم نسبوا السيّد أحمد إلى جدّه رفاعة الحسن أبي‌المكارم الّذي سبق ذكر رجال نسبه الطاهر إلى جدّه سيّد الأوائل والأواخرﷺ، وإلى رفاعةﷺ نسبه المؤرّخون ورجال الطبقات اتّفاقاً، ولم ينسبه إلى بني‌رفاعة القبيلة ناسب قطّ.

وكيف يكون ذلک ورفاعة هذا سيّد بني‌الحسين السبط في عهدهﷺ ودعامة بيته، وسيّد ذرّيّته هو مولانا شيخ الإسلام والمسلمين، غوث الثقلين، أبوالعلمين محيي الدين السيّد أحمد الكبير الرفاعي ـ رضي الله عنه ورضي عنّا به ونفعنا والمسلمين بعلومه وبركات أنفاسه ـ.

ولا يخفى عليک أنّ المؤرّخين من الأُدباء والعلماء ورجال الطبقات على قسمين: الأوّل منهم وهم الأُدباء، قسم صرف همّته لسرد حوادث الملوک والحروب والوقائع مع درج اللطائف الأدبيّة والفكاهة الشعريّة، فأهمل حقوق مثل هذا السيّد الجليل، واختصر ترجمته فقال: وفي سنة كذا مات فلان، وتكلّف كلّ التكلّف فكتب بشأنه سطراً أو سطرين، ورجع لما هو عليه من طريقته التّي ذكرناها.

والثاني وهم العلماء، فهم على الغالب متى أتوا بذكر شيخ من الزهّاد والصوفيّة أعيتهم الحيل وحاروا، فتارة يمدحون، وتارة يعترضون ويريدون الإطالة ويمنعهم التعصّب لمذهبهم ومشربهم، وإذا اقتصروا سدّ باب الفائدة، فترى تراجم الشيوخ الكاملين مذكورة في التواريخ والطبقات ولكن

١. سير أعلام النبلاء ٢٥٤/٢٢؛ الوافي بالوفيات ٦٣/١٩، فوات الوفيات ٣/٢، رقم ٢٩٧.

كأنّها لم تذكر بسبب هاتين العلّتين الباردتين، ولذلك فما بقي للوقوف على حقائق أنسابهم وأحسابهم ومذاهبهم ومشاربهم إلّا مطالعة كتبهم وآثارهم والكتب الّتي ألّفها بشأنهم جماعة من كمّل أتباعهم وأنصارهم، وإذا رجعنا لهذا الطريق رأينا أنّ أصحّ الأقطاب نسباً، وأرفعهم مجداً وحسباً، وأعظم الأولياء خلقاً ومشرباً، وأكملهم لجدّه المصطفى أتباعاً، وأميزهم مقاماً، وأحسنهم اتّباعاً، هو الشيخ الجليل والإمام الفضيل، سيّدنا السيّد أحمد الرفاعي رضي الله عنه، وسنتبرّك بذكر شيء يسير من أخباره الشريفة على سبيل الاختصار، على أنّه أشهر من أن يذكر:

كالشمس أصل في السماء وضوؤها ... عمّ الوجود ونوّر الأكوانا

ولد رضي الله عنه بأُمّ عبيدة، ببلاد البطائح في واسط العراق، سنة اثني عشرة وخمسمئة، وأرّخ ولادته شيخ الإسلام سراج الدين المخزومي الأحمدي بكلمة «بشرى»، فهي بحساب أباجاد[1] تاريخ ولادته، ونشأ بحجر والده على الصحيح حتّى بلغ سبع سنين، فتوجّه والده السيّد علي أبوالحسن لبغداد ليكشف للخليفة فساد أهل البدعة، فتوفّي بها سنة تسع عشرة وخمسمئة، وعمل عليه الأمير ابن المسيّب مشهداً برأس القرية، محلّة ببغداد، وهو يزار ويتبرّك به، وكفله بعد وفاة والده خاله شيخ الزمان أبوالمكارم منصور الربّاني البطائحي الزاهد، وبعد برهة يسيرة أخذه إلى العارف الشيخ علي أبي‌الفضل القارئ الواسطي قدس سره ليربّيه ويعلّمه علوم الشريعة، وكان ذلك بأمر في الرؤيا للشيخ منصور من النبيّ صلى الله عليه وآله، فامتثل الشيخ علي الواسطي الأمر المحمّدي، واعتنى بشأن السيّد أحمد كلّ الاعتناء، واهتمّ بأمره، فما كان قليل إلّا وبرع في العلوم العقليّة والنقليّة، وتفقّه على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه، وحفظ «التنبيه»[2] على ظاهر قلب، وعلّق عليه شرحاً جليلاً يقال إنّه ضاع بواقعة التتار ـ قاتلهم الله ـ، واستمرّ على أخذ العلوم الشرعيّة والمعارف المعنويّة حتّى رجع إلى أشياخه.

وبعد وفاة الشيخ علي والشيخ منصور تفرّد في العصر وبقي هو المشار إليه في وقته، ولم يكن في زمنه من يساويه بأخلاقه وشرف طباعه وعلوّ نسبه ومجده، وكثرة اتّباعه للنبيّ صلى الله عليه وآله، وانقطعت عن منال رتبته المحمّديّة الآمال، وخضعت له رقاب الرجال، وتعلّقت به القلوب، وانكشفت ببركته الكروب.

---

١. ويقال له «أبجد»، وترتيبها عند المغاربة مغاير لما عند غيرهم، وأشار إليه العلامة المجلسي قدس سره في بحارالأنوار ١٠/١٦٤، باب احتجاجات الإمام الصادق عليه السلام وذكر مغايراته. والمقصود هنا محاسبة كلمة «بشرى» حسب الأبجد المتداول بين الناس.

٢. التنبيه في فقه الشافعي لأبي إسحاق الشيرازى إبراهيم بن علي بن يوسف المتوفى سنة ٤٧٦هـ . ق، وهذا الكتاب أحد الكتب الخمسة المشهورة المتداولة بين الشافعيّة وأكثرها تداولاً، وله شروح كثيرة.

وفي سنة خمس وخمسين وخمسمئة حجّ وزار جدّه المصطفى ﷺ، فلمّا وقف تجاه القبر الطاهر قال: السلام عليك يا جدّي. فقال له المصطفى والناس يسمعون: وعليك السلام يا ولدي. فحنّ وأنّ وبكى وأنشد:

في حالة البعد روحي كنت أرسلها ... تقبّل الأرض عنّي وهي نائبتي
وهذه دولة الأشباح قد حضرت ... فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فمدّ له رسول الله ﷺ يده من القبر الشريف إلى خارج الشبّاك النبوي، فقبّلها في ملأ عظيم، وكان الحرم النبوي غاصّاً بالألوف من الناس، وتواتر هذا الخبر المبارك، ولم يصل إلينا خبر كرامة صحيح الأسانيد، جامع لشروط التواتر المرعي مثل هذا الخبر الشريف أبداً، وقد نصّ على ذلك الحفّاظ والمحدّثون والعارفون ورجال الطبقات، وقد أُفردت هذه الكرامة المباركة بالتآليف والتصانيف، وهي مستفيضة متواترة، وإنكارها من شوائب النفاق ـ والعياذ بالله تعالى ـ.

وكان في من حضر يوم مدّت اليد النبويّة الطاهرة للسيّد الجليل الرفاعي رضي الله عنه مشايخ الإسلام: الحرّاني والزعفراني والجيلاني وابن مسافر والمنبجي وغير واحد، وكانت القافلة المدنيّة في ذلك العام تقرب من تسعين ألفاً.[1]

قال سلطان المحدّثين الفاروثي والحافظ التقي الواسطي والإمام الديريني وفقيه الزمان يحيى بن عبدالملك الواسطي وجماعة من الأئمّة المقتدى بهم ـ رضي الله عنهم ـ: لم يأت إلينا بالتواتر المرعي كرامات وليّ من أولياء الله تعالى ككرامات السيّد أحمد الرفاعي رضي الله عنه.

قلت: وهي مستمرّة سارية مشهودة بإذن الله تعالى لا تنقطع بشاهد قوله تعالى: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾،[2] وأتباع السيّد أحمد في عصره لا يحصون لكثرتهم.

قال ابن الأثير في تاريخه «الكامل» حين ذكره: كان صالحاً ذا قبول عظيم عند الناس، وله من التلامذة ما لا يحصى.[3]

وقال الحافظ الذهبي: هو سلطان العارفين في زمانه.[4]

---

١. حكى هذه القصّة العلامة الأميني في الغدير ١٧٤/١١ ـ ١٨٠ نقلاً عن روضة الناظر، ص ٥٤، والعقود الجوهرية، ص ٥، وشرح الشفا للخفاجي ٢٩٨/٣، وكنز المطالب، ص ١٨٨، وأسمى المطالب لابن درويش، ص ٢٩٩، وعدّها ممّا نسجته يد الغلو من قصص الخرافة، وما لفقته الأهواء والشهوات.

٢. فصّلت: ٣١.

٣. الكامل ٤٩٢/١١، حوادث سنة ٥٧٨.

٤. تاريخ الإسلام ٢٤٨/٤٠، وفيات سنة ثمان وسبعين وخمسمئة.

ووسمه في تاريخه «الصغير» بـ«سيّد العراقين».

وقال ابن بامخرمة: وأمّا كراماته فلا تعدّ ولا تحصى، وقد طار اسمه في الأقطار، وتبعه عالم لا يعدّون من كلّ قطر.

قال ابن الجوزي: «حضرت عنده في نصف شعبان وعنه أكثر من مئة ألف إنسان، وقد قام بكفاية الجميع».

وقال ابن خلّكان: «ولهم مواسم يجتمع عندهم من الفقراء عالم لايعدّ ولا يحصى، ويقومون بكفاية الكلّ».[١]

ولو أردنا ذكر من أثنى عليه وأطنب بشأنه لاحتجنا إلى عدّة مجلّدات، ورحم الله شيخ الإسلام السبكي، فإنّه قال عند ذكره: «ولو أردنا ذكر فضائله لضاق الوقت».[٢]

وحسن ما قال فيه الإمام الفاروثي في «إرشاد المتّقين» وهو:

أنت السماء السبع شنشنة آيات فضلك كلّها عجب

مفاخر كالبدور طالعة هذا تولّى وذاك مقترب

توفّي بأُمّ عبيدة سنة ثمان وسبعين وخمسمئة[٣]، وعقبه من بنتيه الكريمتين: السيّدة فاطمة والسيّدة زينب.

فائدة

خلاصة ما قاله المحقّقون الّذين يرجع إلى نقولهم أنّ السيّد يحيى نقيب البصرة جدّ السيّد أحمد الرفاعي لأبيه هو أوّل قادم من عصابة بني‌رفاعة الحسينيّين إلى البصرة، نزلها عام خمسين وأربعمئة، السنة الّتي دخل فيها البساسيري بغداد وخطب بجامع المنصور للمستنصر بالله العلوي خليفة مصر، وأذّن بـ«حيّ على خير العمل»، وأحيا البدعة، وأظهر التشيّع، وفي ذلك العام فوّض الخليفة القائم نقابة الأشراف بالبصرة إلى السيّد يحيى الرفاعي الحسيني لما شاع عنه من الزهد والصلاح والتمسّك بالسنّة السنيّة، والعمل بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، طمعاً لإزالة فتنة الشيعة وأهل الأهواء، وكتب له الخليفة وصيّة ليعمل بها، فعمل بوصيّته، وأيّد الله على يديه السنّة السنيّة، مع حفظ شرف العترة النبويّة

١. وفيات الأعيان ١٧٢/١، ترجمته برقم ٧٠.
٢. طبقات الشافعية ٢٤/٦، ترجمته برقم ٥٧٨.
٣. طبقات الشافعيّة ٢٧/٦؛ تاريخ الإسلام ٢٥٤/٤٠.

والجرثومة الفاطميّة، وعكفت عليه القلوب، وتعلّقت به المسلمون تعلّق المحبّ بالمحبوب، ثمّ تزوّج بالأصيلة الحسيبة علماً الأنصاريّة بنت الشيخ أبي‌سعيد النجّاري الأنصاري البطائحي، فأولدها السيّد عليّاً أباالحسن، دفين رأس القرية، محلّة ببغداد، فلمّا كبر قدم البطائح وسكن أُمّ عبيدة وتزوّج ببنت خاله فاطمة، أُخت الشيخ الإمام منصور الربّاني البطائحي، فأولدها القطب الجليل، الشريف الأصيل، إمام الزمان، حجّة الله على أهل العرفان، السيّد أحمد الكبير الرفاعي، شيخ الطوائف وإمام الصوفيّة، ثمّ السيّد عثمان والسيّد إسماعيل وستّ النسب، فإسماعيل أعقب أحمد، وعثمان أعقب فرجاً ومباركاً، وأمّا ستّ النسب فإنّ حسن بن عسلة بن حازم الّذي قدم مع ابن عمّه النقيب يحيى الحسيني الرفاعي، نزيل البصرة ربّاه ابن عمّه وأرشده وأقرأه علوم الدين، ولمّا كبر زوّجه بنت الشيخ الإمام أبي‌الفضل فأولدها سيف الدين عثمان، فلمّا بلغ أشدّه تزوّج ببنت عمّه الشريفة ستّ النسب أُخت السيّد الكبير الّتي تقدّم ذكرها، فأولدها عليّاً وعبدالرحيم وعبدالسلام.

وأمّا السيّد أحمد أبوالعبّاس الكبير الرفاعي فإنّه تزوّج في بدايته بالشيخة الصالحة خديجة الأنصاريّة، فأولدها فاطمة وزينب، ثمّ توفّيت، فتزوّج بأُختها الزاهدة العابدة رابعة، فأولدها صالحاً قطب الدين، مات في حياة والده، وعمره سبعة عشر سنة، ولم يتزوّج.

وقال الشيخ الحدّادي: بل تزوّج، وأعقب ولداً اسمه منصور.

وأمّا فاطمة بنت السيّد أحمد الكبير فقد زوّجها أبوها بابن أُخته وابن ابن عمّه علي مهذّب الدولة ابن سيف الدين عثمان، فأولدها وليّ الله الإمام الكبير محيي الدين إبراهيم الأعزب ونجم الدين أحمد الأخضر.

وأمّا زينب بنت السيّد أحمد الكبير فإنّها تزوّج بها ابن عمّتها وابن ابن عمّ أبيها ممهّد الدولة عبدالرحيم، فأولدها شمس الدين محمّداً[1] وقطب الدين أحمد وأباالحسن عليّاً وعزّ الدين أحمد الصيّاد وأحمد أباالقاسم وأباالحسن عبدالمحسن وبنتين، ولكلّهم ذرّيّة في الشام والعراق ومصر والحجاز، وإنّ قاعدة بيتهم في أُمّ عبيدة، فإنّهم يتوارثون مشيخة رواق أُمّ عبيدة ورئاسة واسط والبصرة جيلاً بعد جيل.

قال القاضي ابن خلّكان في تاريخه: «وأولاد أخيه يتوارثون المشيخة والولاية على تلك الناحية إلى الآن».[2]

---

١. في المخطوطة: محمّد.

٢. وفيات الأعيان ١٧٢/١.

ولذرّيّته المباركة فروع كثيرة بمصر وديارها وفي الشام والعراق وغيرها من البلاد، وقد أعطاه الله لساناً مؤيّداً، ووهبه قدماً ثابتاً، وحكّمه في القلوب، وأجرى على يديه خوارق العادات، وكانت مجالسه حافلة بالعلماء والأولياء والفضلاء وأئمّة الشيوخ، فإذا جلسوا وقام فيهم خطيباً واعظاً مرشداً، رأيتهم وكأنّ على رؤوسهم الطير؛ لعظم قدره، وجلالة مقامه، وغزارة علمه، وما منّ الله به عليه من المزايا والخصال الشريفة الّتي لم تجتمع لغيره في عصره، وقد جمع الكثير من الرجال أشياء كثيرة من مجالسه المباركة، دوّنوا منها كتباً شريفة، منها كتاب «البرهان المؤيّد» الّذي جمعه الشيخ الجليل شرف الدين بن عبدالسميع الهاشمي العبّاسي، و«المجالس الأحمديّة» الّتي[1] جمعها الشيخ المحدّث الرحلة عبدالعظيم الواسطي، وكتاب «الحكم» الّذي تفضّل به على خليفته وأحد ورّاث أسراره الشريف عبدالسميع العبّاسي الهاشمي، وغيرها من الآثار النافعة والحكم الساطعة الّتي سارت بها الركبان، وأعظمها العارفون في كلّ زمان، وقد طفحت كلماته المباركة بهدم البدعة وإحياء السنّة، والحثّ كلّ الحثّ على التمسّك بآثار النبيّ صلى الله عليه وآله وأصحابه الهداة المرضيّين ـ رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ـ .

وأمّا حسن السيرة، ولطف الطباع، والتواضع الخالص، والصدر الرحب، والخلق الحسن، والصفح عن عثرات الإخوان، والحلم والتحمّل، والجود والكرم، والذلّ والانكسار لله تعالى، والتودّد إلى الخلق لوجه الله، وإرشاد المسلمين، وإهداء المارقين، وجذب الكافرين من ظلمة خزيهم إلى نور الإيمان، وقمع أولياء الشيطان، وإعزاز أولياء الرحمان، وتعظيم العلماء والمشايخ، وملازمة مناهج المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالحركات والسكنات، فهي خصال جعلها الله حاله ومقامه وخلقه ومشربه وحقّقه فيها حتّى أطبق أهل الله على أنّ رتبته فوق القطبيّة والغوثيّة، وقالوا: لم يأت بعد الصحابة والأئمّة الاثني عشر أعيان بيت النبيّ صلى الله عليه وآله وليّ أجمع منه بهذه الأوصاف الحميدة، والأخلاق السعيدة، والمقامات الفريدة، ولو لم يكن له من الكرامات الخارقة والله[2] إلّا أن أتحفه الله بمدّ يد جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله له ـ كما سبق ذكر ذلك ـ لكفى.

قال الشريف العارف حسن أبو الإقبال الوفائي الحسني في رسالته «شجرة الإرشاد»:

«وقد تفرّد السيّد أحمد ابن الرفاعي بهذه الكرامة دون غيره، فإنّ الأولياء الأعيان الوارثين صحّ لهم شهود النبيّ ـ صلّى الله تعالى عليه وسلّم ـ ولكن بقي خاصّاً بهم

١. في المخطوطة: الّذي.

٢. في المخطوطة: لله.

وبمن اجتباه الله وألحقه بهم من خاصّتهم، ولا يكون ذلك إلّا للأفراد من أقطاب الأُمّة، كسيّدنا السيّد أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه وأضرابه، وقد ثبت عن السيّد أبي الحسن الشاذلي القطب الغوث رضي الله عنه أنّه كان يقول: والله لو حجب عنّي رسول الله ﷺ طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين. ووقع ذلك من وارثه وخليفته شيخنا الشيخ أبي العبّاس المرسي رضي الله عنه حتّى أنّه كان يعدّ الانحجاب عن رؤية النبيّ ﷺ نقصاً في مقام ولايته، ونقل هذا عن جماعة آخرين من أهل هذا المقام إلّا أنّ المنقبة الّتي منّ الله تعالى بها على وليّه السيّد أحمد ابن الرفاعي، شيخ هذه العصابة ـ رضي الله تعالى عنه ـ علا عن هذه المنزلة بانكشاف اليد المباركة النبويّة بسببه للعيان حتّى رآها الجمّ الغفير من الواصلين وغيرهم». انتهى كلامه.

وبالجملة، فهذا السيّد الرفيع والجناب المنيع شيخ الأشراف، وخلاصة الأولياء الأعيان من ذرّيّة ابن عبد مناف، وباب الأحباب إلى جدّه النبيّ الأوّاب، وسيّد الأقطاب بلا ارتياب، وأعظم من يعوّل عليه من مشايخ الطريقة أصحاب السير والسلوك إلى الله، وهو إمام الأقطاب الأربعة ورئيسهم وشيخ سلسلة طريق القوم من عهده المبارك إلى عهدنا هذا، بل وإلى يوم الدين.

وأمّا السيّد علي الرفاعي، المدفون بمصر المشهور المذكور الّذي ظنّ أهل مصر أنّه هو الأُستاذ الرفاعي الكبير، صاحب السرّ العظيم، والقدر الخطير، فهو كما أوضحنا لك أيّها المحبّ من أسباط الرفاعي الكبير، شريف العنصرين، محبوك الطرفين، وقد وصل إلى مرتبة القطبيّة وهو ابن سبع عشرة سنة، وقد جرّبت زيارته في نفسي كثيراً وأدركت بركتها، وكنت ابتليت بهمّ أثقلني وضقت له ذرعاً، وكان ذلك سنة خمسين بعد الألف، فأكثرت من الصلاة على النبيّ ﷺ ومن قراءة فاتحة الكتاب وإهدائها إلى أرواح السادات سكّان مصر وديارها وإلى جميع الأولياء، ومضى على ذلك أيّام، ففي ليلة من الليالي رأيت في ما يراه النائم الخضر عليه السلام فاجتذبني من جبّتي ومشى بي إلى مقام السيّد علي الرفاعي، وقال لي: هنا رجل عظيم من آل بيت النبيّ ﷺ يقال له السيّد علي الرفاعي، زره واقرأ له فاتحة الكتاب إحدى عشرة مرّة، ويقضي الله حاجتك ويفرّج همّك. فانتبهت وفعلت ما أمرني به الخضر عليه السلام، ففرّج الله كربي بأسرع وقت وقضى حاجتي.

وسمعت شيخنا شيخ الإسلام برهان الدين علي الحلبي القاهري يقول لجماعة من صلحاء الأحمديّة:

لا تنسونا من دعائكم في حضرة السيّد علي الرفاعي، فإنّ الدعاء في حضرته مستجاب؛ لأنّه من أعيان أولياء الله ومن كبار أولاد رسول الله ﷺ، ورأيته يزوره ويخشع أمام مشهده الشريف، وزرته معه مرّة فبعد أن زاره بكى وقال: ما لنا وصول إلى أُمّ عبيدة حتّى نتملّى بزيارة الأُستاذ الأكبر الرفاعي، ولكن ها نحن نزور وارثه في مصر وبضعته ونائبه. وتمثّل بقول الشيخ الإمام عزّالدين الفاروثي ـ رحمه الله تعالى ـ :

أمرّ بقيعان الحمى بعد أهلها ... أُعفّر شيبي باكياً بثراهم

وأطرق أطراف الطريق مولهاً ... لعلّي أراهم أو أرى من رآهم

وقد رأيت أصحاب العاهات والمجانين والمكسحين يحملون إلى حضرته، فما يمضي عليهم قليل من الأيّام إلّا ويعافيهم الله ببركته.

وأخبرني الشيخ الطوخي ـ نفع الله به ـ أنّه رأى المصطفى ﷺ في مقام السيّد علي الرفاعي، والسيّد علي في خدمته بين يديه ـ عليه الصلاة والسلام ـ والنبيّ ﷺ يأمره ببعض الخدمة، وكلّما خاطبه يقول له: يا ولدي.

وأخبرني الشيخ الصالح علي الدمنهوري أنّه رأى الأربعين رجال الوقت بالمقام المذكور ليلاً مجتمعين، وكلّ واحد منهم يقول: هذه الليلة سعيدة، نحن في أعتاب سيّدنا الليلة. قال: رأيت ذلك يقظة والله على ما نقول وكيل. وكان ثقة صدوقاً.

وكان السيّد علي عالماً وقوراً مهاباً محبّباً عند الناس، له شهرة كبيرة بديار مصر وخوارق لا تعدّ ولا تحصى، ويقال: إنّ له مجموعة في الأوراد والأحزاب، ولكنّي ما ظفرت بها ولا رأيتها، نعم أطلعني أخونا الشيخ شهاب الدين أحمد المنصوري الرفاعي على كتاب عظيم الفائدة، جمّ المنافع اسمه «المعارف المحمّديّة في الوظائف الأحمديّة» للشيخ الجليل القطب الغوث مولانا السيّد عزّالدين أحمد الصيّاد، والد السيّد علي الرفاعي، صاحب الترجمة، فتبرّكت بقراءته وانتفعت به، وفيه من كلمات القطب الغوث الرفاعي وذكر مقاماته وأحواله ونسبه الشريف وحسن طريقته ما يشفي الغليل ويداوي العليل.

وبالجملة فأهل هذا البيت قوم لا يضام نزيلهم، ولا يشقى جليسهم، ولا يخزى محبّهم، بركاتهم ظاهرة، وخوارقهم باهرة، وتصرّفاتهم حاضرة ـ أماتنا الله على ودّهم، ورزقنا بركة حبّهم، ونفعنا بهم والمسلمين، آمين ـ .

السيّد القطب الشهير أحمد البدوي رضي الله عنه

هو أحمد بن علي بن إبراهيم بن محمّد بن أبي‌بكر بن إسماعيل بن عمر بن علي بن عثمان بن حسين بن محمّد بن موسى بن يحيى بن عيسى بن علي بن محمّد بن الحسن بن علي بن محمّد بن علي الرضا بن موسى الكاظم ابن الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمّد الباقر ابن الإمام علي زين‌العابدين ابن السبط سيّدنا الحسين ابن سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله.[١]

قال الشيخ الشعراني في «طبقاته الوسطى»: قد رأيت سؤالاً وجوابه لشيخ الإسلام الحافظ الشيخ شهاب الدين ابن حجر في سيّدي أحمد البدوي، فأحببت ذكره هنا ليعتمد العلماء عليه، فإنّ أصحاب كتب الرقائق يحكون في مؤلّفاتهم ما لم يصحّ، بخلاف المحدّثين ـ رضي الله عنهم ـ، فأقول وبالله التوفيق:

قدّم بعض الفضلاء سؤالاً صورته:

ما يقول سيّدنا ومولانا شيخ الإسلام الحافظ أمير المؤمنين في الحديث ـ نفع الله به المسلمين ـ في سيّدي أحمد البدوي؟

فقال رضي الله عنه: هو أبو الفتيان أحمد بن علي بن إبراهيم بن محمّد بن أحمد، وأقام بمكّة المشرّفة، ومات بها أبوه سنة سبع وعشرين وستّمئة، ودفن بباب المعلاة،[٢] وقبره الآن ظاهر يزار، وعرف بالبدوي لملازمته اللثام ولبس لثامين حتّى كان لا يفارقهما، وعرض عليه التزويج فامتنع؛ لإقباله على العبادة، وكان قد حفظ القرآن كلّه، ثمّ قرأ شيئاً من الفقه على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه، واشتهر بين الناس بـ«العطّاب»؛ لكثرة عطبه من يؤذيه، ثمّ لازم الصمت حتّى كاد لا يتكلّم إلّا بالإشارة،[٣] ثمّ اعتزل الناس جملة؛ لما ظهر عليه الوله، ثمّ لمّا دخل المحرّم سنة ثلاث وثلاثين وستّمئة ذكروا أنّه رأى في النوم قائلاً يقول له ويبشّره بأنّه سيكون له شأن عظيم وحالة حسنة بمصر، ثمّ إنّ أخاه حسن بن علي رحل إلى[٤] العراق

---

١. هذا النسب لم يرد في مصدر وثيق، فإنّ محمّد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي الرضا عليهم السلام هو الإمام المنتظر الغائب عليه السلام، ولم يذكر أولاده أحدٌ، ولم يدّع أحد أنّه ولده، فكيف بأولاد أولاده؟!

٢. في المخطوطة: المعلّى.

٣. في المخطوطة: بإشارة.

٤. «إلى» ساقطة من المخطوطة.

وأخذه معه، ولازم سيّدي أحمد الصيام حتّى كان لا يفطر إلّا كلّ أربعين يوماً، فكان يمكث الأربعين يوماً لا يأكل ولا يشرب ولا ينام، وكان أكثر أحواله شاخصاً ببصره إلى السماء وعيناه كالجمرتين، ثمّ رحل إلى مصر سنة أربع وثلاثين وستّمئة، فدخل إلى ناحية طندتا[1] من الغربيّة في أسفل مصر، فأقام بها على سطح دار لا يفارقه لا ليلاً ولا نهاراً، وكان إذا عرض له الحال يصيح صياحاً عظيماً متّصلاً، وكان يكثر من الصياح في أغلب أوقاته.

وأمّا صفته رضي الله عنه فكان طويلاً غليظ الساقين، عبل الذراعين، كبير الوجه، ولونه بين البياض والسمرة، ويؤثر عنه كرامات كثيرة، وخوارق شهيرة، من أشهرها قصّة المرأة الّتي أسر ولدها الفرنج فلاذت به، فأحضره إليها في قيوده.

ومرّ به رجل يحمل قربة لبن فأشار الشيخ بإصبعه إلى القربة فأنفذت فانسكب اللبن، وخرجت منه حيّة عظيمة ميّتة قد انتفخت.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: ويؤثر عنه شعر لكنّه غير معرب مع كونه موزوناً،[2] قال: وقد لازم جماعة من أهل تلك البلاد خدمته رحمه الله وبنوا على قبره مقاماً، واشتهرت كراماته، وكثرت النذور الّتي تحمل إليه من البلاد، وعظم أمره، وأثنوا عليه، وميّزوه عن أشياخ عصره، وقام باتّباعه صاحبه الشيخ صالح عبدالعال فسمّوه خليفة الشيخ أحمد، وعمّر بعده طويلاً حتّى مات سنة ثلاث وثلاثين وسبعمئة، واشتهر أتباعه بـ«السطوحيّة»، وحدث لهم بعد مدّة عمل المولد الشريف النبوي عنده، وصار يوماً مشهوداً تقصده الناس من النواحي البعيدة، قال: وشهرة هذا المولد في عصرنا غنيّة عن وصفه، وقد قام جماعة من العلماء ومن يتديّن من الأُمراء في إبطاله، فلم يتهيّأ لهم ذلك، إلّا في سنة إحدى وخمسين وثمانمئة. انتهى ما ذكره الحافظ ابن حجر رحمه الله في جوابه.

وقد رأيت أيضاً بخطّ سبطه الإمام العالم، المحدّث العدل الرضي أبي المحاسن يوسف ترجمة لسيّدي أحمد البدوي حين سئل عنه، فقال:

---

١. طندتا المسماة اليوم طنطا من بلاد مصر.

٢. في المخطوطة العبارة هكذا: مع كونه موزوناً وغير معرب.

هو أحمد بن علي بن إبراهيم بن محمّد بن أبي‌بكر البدوي المعروف بـ«السطوحي»رضي الله عنه أصله من بني بري، قبيلة من عرب الشام، تسلّك على يد الشيخ بري، أحد تلامذة الشيخ أبي‌نعيم، أحد مشايخ العراق وأحد أصحاب سيّدي أحمد ابن الرفاعي، ومولده بفاس، سنة ستّ وتسعين وخمسمئة، وطاف البلاد وأقام بمكّة والمدينة ثمّ بمصر، ثمّ دخل طندتا سنة أربع وعشرين وستّمئة.

قال الشعرانيرحمه الله:

سمع سيّدي أحمد قائلاً يقول له: سر إلى طندتا وربّ الرجال. وذلك في شهر رمضان سنة أربع وثلاثين وستّمئة، فدخلرضي الله عنه إلى مصر أوّلاً ثمّ قصد طندتا، فدخل في الحال مسرعاً إلى دار ابن شحيطة شيخ البلد، فصعد إلى سطوح غرفته، فأقام فوق السطح نحو اثنتي عشرة سنة، وكان طول نهاره وليله واقفاً شاخصاً ببصره إلى السماء، وقد انقلب سواد عينيه بحمرة تتوقّد كالجمر، وكان يمكث الأربعين يوماً فأكثر لا يأكل ولا يشرب ولا ينام. ذكره الحافظ ابن حجررحمه الله.

ثمّ إنّه نزل من السطح إلى ناحية فيشا[1] المنارة، فصحب بها عبدالعال وعبدالمجيد، فأمّا عبدالمجيد فسأله أن يكشف له عن لثامه ليرى وجهه، فقال سيّدي أحمد: يا عبدالمجيد، كلّ نظرة بنفس. فقال: يا سيّدي، أرني وجهك ولو متّ. فكشف اللثام عن وجهه فخرّ عبدالمجيد ميّتاً!

وأمّا عبدالعال، فعاش إلى أن مات سيّدي أحمد واستخلف بعده وربّى الرجال، وفرّقهم في نواحي البلاد، وكان سيّدي أحمد يربّي بالنظر، فإنّ سيّدي عبدالعال يأتيه بالرجل الجاهل الخالي من المدد فينظر إليه نظرة فيملأه مدداً، ويقول له: قل له يسكن البلد الفلاني، هكذا تربيته للرجال، كان يقلب أعيانهم بالنظر من غير مجاهدة، وكلّ ذلك كان بالسطح الّذي كان فوقه في دار ابن شحيطة، ومن هنا كان الناس يقولون: فلاناً من أصحاب السطح. ويقولون: سيّدي أحمد السطوحي.

قالوا: ولمّا دخل سيّدي أحمد طندتا كان هناك سيّدي حسن الصائغ الأخناي وسيّدي سالم المغربي، وكان سيّدي حسن يقول لمّا قرب مجيء سيّدي

١. فيشا من قرى دمنهور بمصر.

أحمد: ما بقي لنا إقامة هنا، صاحب البلاد قد جاء لها، فكان النـاس لا يعرفـون مراده، فلمّا دخل سيّدي أحمد خرج سيّدي حسن إلى أخنا، فأقام بها إلى أن مات، وقبره ظاهر يزار إلى الآن.

وأقام سيّدي سالم المغربي فسلّم لـسيّدي أحمـد إلى أن مـات بطنـدتا، وقـبره قريب من مقام سيّدي أحمد.

وأنكر بعضهم على سيّدي أحمد فسلب وانطفى اسمه، وانتـصر جماعـة مـن خطباء طندتا لسيّدي وجه القمر، صاحب الإيوان العالي بهـا، وبنـوا لـه منـارة فجاء سيّدي عبدالعال ورفسها برجله فغارت إلى وقتنا هذا، ولمّا دخـل سـيّدي أحمد إلى مصر خرج الملك الظاهر بيبرس[١] أبو الفتوحات هو وعـسكره، فتلقّـوا سيّدي أحمد وأكرموه غاية الإكرام وأنزله في دار الضيافة، وكان ينزل لزيارته لّمـا أقام بناحية طندتا، وكان يعتقده اعتقاداً عظيماً.[٢] انتهى.

وقال الشعراني أيضاً:

وممّا رأيته أنا بعيني سنة ثلاث وأربعين وتسعمئة أنّي كنت جالساً في مقام سيّدي أحمد، فسمعت ضجّة عظيمة في منارة سيّدي عبدالعال آخر الليل، فطلعت فإذا أسير مقيّد مغلول وهو غائب البال، فنزلوا به فمكث ثلاثة أيّام ثمّ أفاق، فقـال: كنت أسيراً في بلاد الفرنج فبينا أنا واقف على سطح، إذ توسّـلت بـسيّدي أحمـد البدوي فأتاني شيء فخطفني، فطار بي في الهواء حتّى نزلت على المأذنـة، فطـاش عقلي من شدّة الخطفة والطيران، ففككنا قيوده، وجـاور في مقـام سـيّدي أحمـد حتّى مات.[٣]

---

١. بيبرس العلائي البندقداري الصالحي، صاحب الفتوحات، مولده بأرض القپچاق وأُسر فبيع في سيواس، ثمّ نقـل إلى حلب ومنها إلى القاهرة. فاشتراه الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار، وبقي عنده، فلمّا قبض عليه الملك نجم الدّين أيّوب أخذ بيبرس فجعله في خاصة خدمه ثمّ أعتقه، ولم تزل همّته تصعد به حتّى صـار أتابـك العـسكر بمصر في أيام الملك قطز، وقاتل معه التتار في فلسطين، ثم اتّفق مع أُمراء الجيش على قتل قطز، فقتلـوه، وتـولّى بيبرس سلطنة مصر والشام سنة ٦٥٨هـ ، وله الوقائع الهائلة مع الصليبيين، وتلقّب بالملك الظاهر، وتوفّي سنة ٦٧٦ في دمشق، ومرقده فيها معروف أُقيمت حوله المكتبة الظاهرية (الأعلام ٧٩/٢).

٢. وحكاه أيضاً في الطبقات الكبرى ١٨٤/١، ترجمة أحمد البدوي برقم ٢٨٧.

٣. وحكاه أيضاً في الطبقات الكبرى ١٨٧/١، ترجمة أحمد البدوي برقم ٢٨٧، مع اختصار.

وحكى عن شخص آخر اسمه الشيخ سالم، قال: كنت أسيراً في بلاد الفرنج، فكان الفرنجي يقول لي: إن سمعتك تقول يا أحمد يا بدوي، ضربتك وعاقبتك، ثمّ خاف أنّه يخطفني، فصار ينوّمني في صندوق كبير ويقفله عليّ بقفل وينام فوقه، فقلت في نفسي ليلة من الليالي: يا سيّدي أحمد أنجدني، فما استتمّ القول إلّا وقد جاء سيّدي أحمد وحمل الصندوق بي وبالفرنجي، فصرت أسمع دويّاً تحتي عظيماً، فما أصبح الصباح إلّا وأنا أسمع أصواتاً وكلاماً كثيراً، ففتحوا الصندوق وأخرجوني، فوجدت نفسي في ساحل القيروان والفرنجي واقف والناس حوله! فحكى لهم قصّة سيّدي أحمد، ثمّ أسلم الفرنجي وجاء إلى مقام سيّدي أحمد وزاره ثمّ سافر إلى القدس. انتهى.

وممّا رأيته بعيني أنّي كنت جالساً على سطح المقام وقت الزوال، فرأيت هلال قبّة سيّدي أحمد يدور ويزعق كالحجر العظيم من حجارة المعصرة الّذي ليس تحته حبّ، فدار نحو ثلاث دورات ثمّ جاء الخبر بنصرة السلطان سليمان بن عثمان على أهل رودس[1] في ذلك الوقت، وكذلك ما سمعنا تابوته يقرع ويزعق إلّا ويحدث في المملكة أمر، وكراماته كثيرة مشهورة رضي الله عنه. انتهى كلام الشعراني.

أخذ سيّدي أحمد البدوي طريق الصوفيّة ولبس الخرقة من الشيخ الكبير شمس الدين بري العراقي الشريف، المدفون بصحراء سلميّة بالشام، ولبس الخرقة أيضاً من الشيخ عبدالسلام بن مشيش الشريف المغربي، فالشيخ بري لبس الخرقة من سيّد القوم السيّد أحمد ابن الرفاعي رضي الله عنه، وسيأتي ذكر سنده.

وأمّا الشيخ عبدالسلام بن مشيش فقد ذكر أسانيده الشريف حسن أبوالإقبال الوفائي في «شجرة الإرشاد» فقال: السيّد عبدالسلام بن مشيش[2] بن منصور بن إبراهيم الحسني الإدريسي، أخذ عن القطب الشريف عبدالرحمان الحسني المدني العطّار المعروف بـ«الزيّات»، وهو لبس الخرقة المباركة من الشيخ تقي الدين الفقيه ـ بالتصغير فيهما ـ النهروندي، نسبة إلى قرية نهروند من قرى واسط بالعراق، ولبس أيضاً القطب عبدالرحمان الزيّات الخرقة عن أبي أحمد القطب الكبير جعفر بن عبدالله بن سيّد بونة الخزاعي،

١. رودس: جزيرة في البحر الأبيض المتوسط جنوب غرب تركيا.
٢. في المخطوطة: بشيش.

نزيل مرسية ببلاد المغرب، فالشيخ تقي الدين الفقيه الواسطي العراقي لبس الخرقة من شيخين: الأوّل القطب فخر الدين، وهو عن سيّدي القطب نور الدين أبي‌الحسن علي، وهو عن سيّدي القطب تاج الدين، وهو عن سيّدي القطب شمس الدين محمّد المعداني، المقيم بأرض الشرك، وهو عن القطب الكبير الشيخ زين الدين القزويني، وهو عن القطب أبي‌إسحاق إبراهيم البصري، وهو عن القطب العارف بالله أبي‌القاسم أحمد المرواني، وهو عن الشيخ سعيد، وهو عن الشيخ سعد، وهو عن القطب أبي‌محمّد فتح السعود، وهو عن القطب الكمال سعيد الغزواني، وهو عن القطب أبي‌محمّد جابر، وهو عن أوّل أقطاب الأسباط المحمّديّين سيّدنا الإمام الحسن رضي الله عنه، وهو عن أبيه وصي نبيّ الثقلين وصهر سيّد الكونين، الأمير الإمام علي أبي‌الحسنين ـ كرّم الله وجهه ـ، وهو عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

والشيخ الثاني الّذي لبس عنه الشيخ تقي الدين الفقير وأدرك على يديه الكمال وتبرّك بخرقته وانتفع بصحبته، القطب الغوث الفرد، الجامع الكبير، شمس العرفان، سيّد الطوائف، الشريف الحسيني الجليل أبوالعلمين السيّد أحمد ابن السيّد أبي‌الحسن علي الرفاعي، صاحب أُمّ عبيدة بواسط العراق رضي الله عنه وهو ـ نفعنا الله بعلومه ـ له سندان شريفان في لبس الخرقة: الأوّل عن الشيخ علي الواسطي القارئ، وهو أخذها عن الشيخ أبي‌الفضل ابن كامخ، عن الشيخ غلام بن تركان، عن الشيخ أبي‌علي الروزبادي، عن الشيخ علي العجمي، عن الشيخ أبي‌بكر الشبلي، عن الشيخ أبي‌القاسم الجنيد البغدادي، عن خاله الشيخ سري السقطي، عن الشيخ أبي‌محفوظ الكرخي، عن الشيخ داوود الطائي، عن الشيخ حبيب العجمي، عن الشيخ أبي‌سعيد مولانا الحسن البصري، عن سيّدنا ومولانا الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي‌طالب ـ كرّم الله وجهه ورضي الله عنه وعنهم أجمعين ـ، عن النبيّ الأعظم والرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

وأخذ رضي الله عنه أيضاً الطريقة ولبس الخرقة من خاله سيّدنا الشيخ منصور الربّاني البطائحي المعروف بين القوم بـ«الباز الأشهب»، وهو أخذ عن خاله الشيخ أبي‌المنصور الطيّب، وهو أخذ عن ابن عمّه الشيخ أبي‌سعيد يحيى النجّاري الواسطي الأنصاري، عن الشيخ أبي القرمذي، عن الشيخ أبي‌القاسم السندوسي الكبير، عن الشيخ أبي‌محمّد رويم البغدادي، عن الشيخ سري السقطي، عن الشيخ معروف الكرخي، عن الإمام علي بن موسى الرضا، عن أبيه الإمام موسى الكاظم، عن أبيه الإمام جعفر الصادق، عن أبيه الإمام محمّد الباقر، عن أبيه الإمام زين‌العابدين علي، عن أبيه الإمام الهمام سبط الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ سيّدنا الحسين الشهيد بكربلاء، عن أبيه الإمام علم الإسلام،

معدن الكرامة والوفا، صهر سيّدنا الرسول المصطفى، أسد الله الغالب، أمير المؤمنين مولانا علي بن أبي طالب ـ كرّم الله وجهه ـ، عن النبي ﷺ، وهو ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال: «أدّبني ربّي فأحسن تأديبي». صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

ولسيّدنا الشيخ منصور البطائحي الربّاني، خال سيّدنا السيّد أحمد الرفاعي وشيخه ـ رضي الله عنهما ـ خرقة جليلة عن الشيخ الإمام أبي محمّد الشنبكي البطائحي رضي الله عنه، وهو عن الشيخ أبي بكر الهوازني البطائحي شيخ الخرقة البكريّة، وهو أوّل من ألبسه الخرقة سيّدنا الإمام أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه في النوم، فاستيقظ فوجدها عليه، وهي ثوب وطاقية، وانتهت بسبب ذلك إليه مشيخة وقته، وكان أجلّ أهل زمانه على الإطلاق.

ثمّ اجتمع بسيّد الصوفيّة الإمام سهل بن عبدالله التستري رضي الله عنه فأخذ عنه ولبس خرقته، وهو عن الشيخ ذي النون المصري، وهو عن الشيخ إسرافيل المغربي، وهو عن سيّدنا أبي عبدالله محمّد حبيشة التابعي، وهو عن سيّدنا جابر الأنصاري رضي الله عنه، وهو عن سيّدنا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ كرّم الله وجهه ـ، عن رسول الله ـ صلّى الله تعالى عليه وسلّم ـ.

وأخذ سيّدي عبدالسلام الطريقة ولبس الخرقة من شيخ الشيوخ أبي أحمد جعفر بن عبدالله بن سيّد بونة الخزاعي، وهو لبس الخرقة من شيخه السيّد أحمد الكبير الرفاعي رضي الله عنه ولم ينتسب لشيخ غيره قطّ.

ولبس الشيخ شمس الدين بري العراقي ـ شيخ الشيخ عبدالسلام ـ الخرقة من الشيخ علي بن نعيم البغدادي الحنبلي الزاهد، وهو لبسها من السيّد أحمد الكبير الرفاعي، وقد سبق أنّ الشيخ بري لبس الخرقة بلا واسطة من الإمام الرفاعي، وهو ألبس جماعة: منهم الشريف عبدالسلام بن مشيش، أجلّ أشياخ الشيخ أبي الحسن الشاذلي والشريف أحمد البدوي ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ.

ولابن مشيش يد أُخرى في الخرقة، كما صرّح بذلك الشيخ ضياء الدين أحمد الوتري، نزيل المنصورة رحمه الله في كتابه «مناقب الصالحين»، وتلك عن سيّدي الشيخ أبي مدين المغربي، وهو عن سيّدي أبي يعزى ابن ميمون، عن الشيخ أيّوب الصنهاجي، عن الشيخ أبي محمّد تنّور، عن الشيخ عبدالجليل، عن الشيخ عبدالله، عن أبيه الشيخ أبي بشر الحسن الجوهري، عن الشيخ أبي علي النوري، عن الإمام الجنيد البغدادي، عن خاله الإمام السري السقطي، عن الإمام معروف الكرخي، عن الشيخ داوود الطائي، عن حبيب العجمي، عن الإمام الحسن البصري، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه، ونفعنا به وبهم أجمعين ـ.

توفّي سيّدنا المترجم سنة خمس وسبعين وستّمئة ـ رضي الله عنه وعن أسلافه وأخلافه، وعن إخوانه أولياء الله أجمعين، ونفعنا بهم والمسلمين ـ.

السيّد القطب الجليل القدر عبدالرحيم القناوي ـ قدّس الله روحه ـ

قال الشريف ابن الأعرج في «بحر الأنساب»: هو الشيخ العارف بالله أبومحمّد عبدالرحيم بن أحمد بن حجون بن أحمد بن محمّد بن جعفر بن إسماعيل بن جعفر الزكي بن محمّد بن المأمون بن علي بن حسين بن محمّد بن جعفر الصادق ابن محمّد الباقر ابن علي زين‌العابدين ابن الحسين بن علي بن أبي‌طالب ـ رضي الله عنه وعنهم أجمعين ـ.[1]

ولد على رأس الخمسمئة، وسكن قنا، بلدة مشهورة من صعيد مصر الأعلى، وهي إلى الآن معروفة بالمشايخ، محفوظة من جميع البدع والمنكرات ببركتهم، واستوطنها، وبها مات سنة اثنين وتسعين وخمسمئة، وقد علت سنّه على التسعين، وقبره بها ظاهر يزار، وأصله من المغرب، سكن أجداده المغرب إلى عهد أبيه، وكان عارفاً كاملاً صوفيّاً كبيراً، نوّه بشأنه سيّدنا الإمام أحمد بن أبي‌الحسن الرفاعي الحسيني رضي الله عنه وغيره، وله كلام جليل، منه قوله: التمكين شهود العلم كشفاً، ورجوع الأسرار في استغراق الأذكار، والمسرّة الاستغراق في مبادي الذكر طرباً، ثمّ الغيبة في توسّط الذكر سكراً، ثمّ الحضور في أواخر الذكر محواً، فهو بين استغراق بهجة وهيبة يزعجه وحضور ينعشه.

وثلث وقت المشتاق استغراق، وثلثه غيبة، وثلثه حضور.

والحياة أن يحيى القلب بنور الكشف فيدرک سرّ الحقّ الّذي برزت به الأكوان في اختلاف أطوارها، فكيف هي حيّة بالله وتخاطبه بأسرار معانيها وألطاف مبانيها، والتبرّي من الحول والقوّة، فهاب الخواطر من المحالّ عليه.

وفنا الأكوان في امتزاج الأنفاس غيبة، ويفيد صاحبه أن يحفظ الله تعالى عليه حاله، ويرقى في كلّ لحظة مقامه، فلا يبرز في الملک والملكوت حركة ولا سكون.

ولا اختلاف بحكم يظهر إلّا وله فيه زيادة نوريّة وحقيقة إيمانيّة، ونمو مقام، فلا يتكدّر عليه حاله، ولا يختلف عليه وجده، فإن ظهرت عليه القدرة أخفته، وإن بطنت فيه أظهرته، فرؤيته غيبته، وحضوره بطؤه.

---

١. انظر: الوافي بالوفيات ١٩٣/١٨، ترجمة عبدالرحيم القنائي برقم ٣٧٢، وفيه: «عبدالرحيم بن أحمد بن حجون بن محمّد بن حمزة بن جعفر بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن الحسين بن علي بن محمد بن جعفر الصادق...».

والمصافاة بالأسرار أن لايسمع آية إلّا من مخاطب في سرّه بسرّ الموادّ وفي العمل، وتتنوّع له الأفهام باختلاف المقامات في العمل، فهو يرتفع في رياض الأسرار، ويصافي بخالص الأنوار، وينجلي له الحكم في أنوار الجمال، يهدي إليه ذواتها، ويمنحه هباتها.

والوصل إلقاء السمع للإصغاء، وفتح البصيرة للنظر، فتنطق حروف الأكوان في سرّ أسماعه نذيراً وحكماً وتواضعاً، فهو في رياض التدبير بين حدائق المواعظ الناطقة والصامتة، وأزهار الحكم الباطنة والظاهرة.

والتقوى أن لايظهر على محلّه حركة إلّا وهي منوطة بحبل العلم مع غيبته عن حركته، وإن تكن[1] باطنة ففي باطن العلم حكمها، وإن تكن ظاهرة ففي ظاهر العلم وجودها، مع طهارة القلب وتسليم النفس ومبادرة الوقت، وإذا صحّ هذا الوصف للعبد آتاه الله ـ عزّوجلّ ـ العلم اللدنّي، وفتح له باب الإلهام الوحي، فيحدّث روحه بأسرار الملكوت.

له في بلدته قنا العقب الكثير الطيّب ـ نفعنا الله بهم أجمعين ـ .

السيّد الجليل القطب الرفيع المقام السيّد إبراهيم الدسوقي رضي الله عنه

ترجمه الشيخ العارف بالله ضياء الدين أحمد الوتري البغدادي، نزيل المنصورة بديار مصر في كتابه «مناقب الصالحين» وأطنب، قال ما ملخّصه:

هو السيّد إبراهيم الدسوقي ابن أبي‌المجد بن قريش بن محمّد بن النجا بن عبدالخالق بن القاسم بن جعفر بن عبدالخالق بن أبي‌القاسم الزكي بن علي بن محمّد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن علي الزاهر زين‌العابدين بن الحسين بن علي بن أبي‌طالب رضي الله عنه القرشي الهاشمي ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ .

قال الشيخ زين الدين النحراوي حين ترجمه:

هو من أجلاء مشايخ مصر والسادات العارفين، صاحب الكرامات الظاهرة، والأفعال الفاخرة، والأحوال الخارقة، والمقامات السنيّة، والهمم الفخيمة، صاحب الفتح الموفّق، والكشف المخرق، والتصدّر في مواطن القدس، والترقّي

---

١. في المخطوطة: يكن.

في معارج المعارف، والتعالي في مراقي الحقائق، كان له الباع الطويل في التصريف النافذ، واليد البيضاء في أحكام الولاية، والقدم الراسخ في درجات النهاية، والطور السامي في الثبات والتمكين، وهو أحد من ملک أسراره، وقهر أحواله، وغلب على أمره، وهو أحد أركان الطريق. انتهى.

وقال غير واحد: له المنهاج الأرفع في المعالي، والقدم الراسخ في أحوال النهايات، واليد البيضاء في علم الموارد، والباع الطويل في التصريف النافذ، والكشف الخارق عن حقائق الآيات، والفتح المضاعف في معنى المشاهدات، وهو أحد من أظهره الله ـ عزّوجلّ ـ إلى الوجود، وأبرزه رحمة للخلق، وأوقع له القبول التامّ عند الخاصّ والعامّ، وصرّفه في العالم، ومكّنه في أحكام الولاية، وقلّب له الأعيان، وخرق له العادات، وأنطقه بالمغيّبات، وأظهر على يديه العجائب، وصوّمه في المهد، وجاء مرّة فقير يطلب منه أن يلبسه الخرقة فنظر إليه وقال: يا ولدي، التلبيس في الأُمور ما هو جيّد، فإنّه لا يصحّ للبس الخرقة إلّا من درسته الأيّام، وقطّعته الطريق مجهدها، وأخلص في معاملته، وقرأ معاني رموز الطريق، ونظر في أخبار أهلها، وعرف مقاصدهم في حركاتهم وسكناتهم، وأسفارهم وأخلاقهم، فإن كنت يا ولدي تعقد التوبة في هذا الوقت، فلا تكن مجّاناً ولا لعّاباً ولا صبي العقل، فما الأمر بقول العبد: تبت إلى الله باللفظ دون القلب، ولا بكتابة الورق والدرج، وإنّما التوبة أن يتوب العبد عن أن يلحظ الكون بعيني قلبه، أو يراعي غير مولاه، فإذا صحّ للفقير هذا الأمر هناک يرجى له صحّة التوبة.

وكان يقول: قوت المبتدئ الجوع، ومطره الدموع، وقطره الرجوع، يصوم حتّى يرقّ ويلين، وتدخل الرقّة قلبه، وتتفتّح[1] مفاتح لبّه، فسمع حينئذ القرآن ومواعظه بقلب حاضر فينتفع، وأمّا من أكل ونام ولغا في الكلام، وترخّص وقال: ما على ذلک من ملام، فلا يجيء منه شيء، والسلام.

ومن كلامه: من لم يكن متشرّعاً متحقّقاً، نظيفاً عفيفاً، فليس هو من أولادي ولو كان ابني لصلبي، ومن كان ملازماً للشريعة والحقيقة عاملاً بما علم، فهو ولدي حقّاً وإن كان من أقصى البلاد.

وكان يقول: لا تنكروا على فقير حاله، ولا لباسه ولا طعامه ولا شرابه، إلّا إن خالف ظاهر الشرع، فإنّ الإنكار يورث الوحشة، والوحشة تورث الانقطاع عن طريق الله ـ عزّوجلّ ـ، فإنّ الناس خاصّ وخاصّ الخاصّ، ومبتدئ ومنتهي، ومتشبّه ومتحقّق، ويرحم الله البعض بالبعض، والقوي لا يقدر يمشي مع الضعيف.

---

١. في المخطوطة: وتنفتح.

وكان يقول: إذا ضحك الفقير في وجه أحدكم فاحذروه، ولا تخالطوه إلّا بأدب.

وكان يقول: الشريعة أصل والحقيقة فرع، فالشريعة ما ظهر من الشرع، والحقيقة ما خفي، وجميع المقامات مندرجة فيهما، ولكلّ منهما أهل، والكامل من جمع بينهما.

وكان يقول: إيّاك أن تدّعي المشيخة ثمّ تعصي ربّك بعد ذلك، فإنّه تعالى يقول لك: أُفّ عليك، أما تستحي؟ أين دعواك القرب منّي؟ أين غسلك أثوابك المدنّسة لمجالستي؟ كم توعي في بطنك من الحرام؟ كم تنقل أقدامك إلى الآثام؟ كم تنام وأحبابي قد صفّوا الأقدام؟ أنت مدّع كذّاب، والسلام.

لبس الخرقة من الشيخ العارف بالله نجم الدين محمود الأصفهاني، وهو لبسها من الإمام عزّالدين أحمد الفاروثي، وهو من أبيه الحافظ إبراهيم، وهو من أبيه الإمام عمر الفاروثي، وهو من شيخ الطوائف سيّد الجماعة، الإمام السيّد أحمد الرفاعي رضي الله عنه، وسند خرقة الإمام الرفاعي مشهور، وقد لبس الشيخ نجم الدين محمود الأصفهاني، شيخ السيّد إبراهيم الدسوقي الّذي تقدّم ذكره خرقة الصوفيّة من الشيخ نور الدين عبدالصمد النظري، وهو من الشيخ نجيب الدين علي الشيرازي، وهو من الشيخ شهاب الدين السهروردي، وهو من عمّه القطب العظيم القدر أبي‌النجيب ضياء الدين عبدالقاهر السهروردي البكري، وهو لبس الخرقة من شيخه القاضي وجيه الدين، وهو من الشيخ فرج الزنجاني، وهو من الشيخ أبي‌العبّاس النهاوندي، وهو من الشيخ محمّد بن خفيف الشيرازي، وهو من الشيخ القاضي رويم أبي‌محمّد البغدادي، وهو من إمام الطريقة سيّد الطائفة أبي‌القاسم الجنيد البغدادي، وهو كما تكرّر لبس الخرقة من خاله السري، وهو من الكرخي، وهو من الطائي، وهو من حبيب العجمي، وهو من شيخ الأُمّة سيّد التابعين الحسن البصري، وهو من قائد الأولياء سيّدنا أميرالمؤمنين علي ـ رضي الله عنه وعنهم أجمعين ـ، وهو من سيّد الخلق رسول الحقّ سيّدنا محمّد صلى الله عليه وآله.

مات رضي الله عنه سنة ستّ وسبعين وستّمئة، وكراماته أشهر من أن تذكر، ومن ألطفها أنّه توجّه بعض تلامذته إلى ناحية الإسكندريّة لحاجة يقضيها لأُستاذه، فتشاجر مع رجل من السوقة في شأن حاجة اشتراها منه، فاشتكاه السوقي إلى قاضي المدينة، وكان جبّاراً ظالماً متكبّراً على الفقراء، فلمّا وقف ذلك الفقير بين يديه أمر بحبسه، وأراد ضربه بلا موجب، بغضاً في الفقراء، فأرسل الفقير إلى شيخه سيّدي إبراهيم يتشفّع به في خلاصه، فلمّا بلغه الخبر كتب إلى القاضي رقعة فيها هذه الأبيات:

سهام الليل صائبة المرامي إذا وترت بأوتار الخشوع
يقوّمها إلى المرمى رجال يطيلون السجود مع الركوع
بألسنة تهمّهم في دعاء بأجفان تفيض من الدموع
إذا أوترن ثمّ رمين سهماً فما يغني التحصّن بالدروع

فلمّا وصلت الرقعة إلى القاضي جمع أصحابه وقال لهم: انظروا إلى هذه الورقة الّتي جاءت من هذا الرجل الّذي يدّعي الولاية، بعد أن آذى حاملها بالكلام واحتقره، ثمّ زاد في سبّ الأُستاذ، ثمّ أخذ يقرأها، فلمّا وصل إلى قوله: «إذا أوترن ثمّ رمين سهماً»، خرج سهم من الورقة فدخل في صدره وخرج من ظهره، فوقع ميّتاً.

اللّهمّ احمنا من سوء الأدب مع أوليائك، وانظرنا بنظر الرحمة أجمعين.

وقال الشعرانيﷺ في «طبقاته»: وقد ترجمه بعضهم بأنّه أحد الأئمّة الّذي أبرز الله لهم المغيّبات، وخرق له العادات، وأوقع له الهيبة في القلوب، وانعقد على فضله إجماع المشايخ، وكان مقصوداً بحلّ المشكلات وكشف خفيّات الموارد.

وترجمه بعضهم أيضاً بأنّه الشيخ الكامل الراسخ، أحد أعيان المشايخ الواصلين، وصاحب الكرامات والخوارق في حياته وبعد مماته، انتهت إليه رئاسة الكلام على خواطر الخلق، وتتلمذ له خلائق من العلماء والصلحاء والقضاة، وكان له أربعون خادماً من أرباب الأحوال، وجاءه مرّة سبعة من القضاة يمتحنونه، فلمّا وصلت مركبهم إلى البرّ بناحية دسوق، أرسل النقيب لهم وقال له: ادفعهم خلف حبل قاف،[1] فوجدوا نفوسهم هناك، فأقاموا سنة يأكلون من حشيش الأرض حتّى تغيّرت أجسادهم وخلقت ثيابهم، ثمّ تذكّروا ما وقعوا فيه فتابوا هناك، فأرسل لهم النقيب فدفعهم فوجدوا نفوسهم على ساحل دسوق، ومسح الله تعالى من قلوبهم تلك الأسئلة كلّها، واعترفوا بما كانوا جاؤوا لأجله، فقال لهم الشيخ: قولوا ما عندكم من المسائل، فضحكوا وقالوا: يكفينا ما جرى لنا، وأخذ عليهم العهد وصاروا من تلامذته حتّى ماتوا.

وترجمه بعضهم بأنّه الشيخ الكامل صاحب الانفهاقات[2] العرفانيّة، والعلوم اللدنّيّة، والأسرار الربّانيّة، من كان له المقام العالي في قلوب العلماء والملوك، والمهابة في الصدور، وقصد للزيارة والتبرّك من

١. في المخطوطة: ق.
٢. في المخطوطة: الاتّفاقات.

سائر الآفاق، وأمر التمساح أن يلفظ الصبيّ الّذي ابتلعه، فخرج التمساح ولفظه بحضرة الناس ـ رضي الله عنه وعنّا به، ورضي الله عن عباده الصالحين، ونفعنا بعلومهم وبركاتهم أجمعين ـ.

خاتمة

في شيء من المدائح والوسائل الخاصّة بأهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله

كان السلف الصالح من أكابر الأُمّة ـ رضي الله عنهم ـ يتوسّلون بالنبيّ صلى الله عليه وآله وبآله الطاهرين، ويفرّج الله لهم كروبهم، وكثيراً ما كان العارفون من أعيان القوم يختلفون إلى النجف الأشرف ويقفون أمام قبر أميرالمؤمنين الإمام علي بن أبي‌طالب ـ عليه السلام والرضوان ـ ويدعون الله في حوائجهم فيستجيب لهم ويقضي حاجاتهم:

سقته سحائب الرضوان سحّا ... كجود يديه ينسجم انسجاما

ولا زالت رواة المزن تهدي ... إلى النجف التحيّة والسلاما[1]

اتّفق مشايخنا ـ نفعنا الله ببركاتهم ـ على أنّ المكروب والمهموم إذا توضّأ فأحسن الوضوء وصلّى على النبيّ صلى الله عليه وآله وذكر دعاء الإمام زين‌العابدين، وسأل الله تفريج كربه وهمّه، يفرّج الله تعالى كربه وهمّه ويقضي له حاجته بإذنه، وإن كان مريضاً ودعا الله بهذا الدعاء يعافيه الله تعالى:

اَللّٰهُمَّ لَکَ الْحَمْدُ عَلیٰ مٰا لَمْ أَزَلْ أَتَصَرَّفُ فِيهِ مِنْ سَلاٰمَةِ بَدَنِي، وَلَکَ الْحَمْدُ عَلیٰ مٰا أَحْدَثْتَ بِي مِنْ عِلَّةٍ فِي جَسَدِي، فَمٰا أَدْرِي يٰا إِلٰهِي أَيُّ الْحٰالَيْنِ أَحَقُّ بِالشُّكْرِ لَکَ؟ وَأَيُّ الْوَقْتَيْنِ أَوْلیٰ بِالْحَمْدِ لَکَ؟ أَ وَقْتُ الصِّحَّةِ الَّتِي هَنَّأْتَنِي فِيهٰا طَيِّبٰاتِ رِزْقِکَ، وَنَشَّطْتَنِي فِيهٰا لِابْتِغٰاءِ مَرْضٰاتِکَ وَفَضْلِکَ، وَقَوَّيْتَنِي مَعَهٰا عَلیٰ مٰا وَفَّقْتَنِي لَهُ مِنْ طٰاعَتِکَ؟ أَمْ وَقْتُ العِلَّةِ الَّتِي مَحَّصْتَنِي بِهٰا، وَالنِّعَمِ الَّتِي أَتْحَفْتَنِي بِهٰا، تَخْفِيفاً لِمٰا ثَقُلَ بِهِ عَلَى ظَهْرِي مِنَ الْخَطِيئٰاتِ، وَتَطْهِيراً لِمٰا انْغَمَسْتُ فِيهِ مِنَ السَّيِّئٰاتِ، وَتَنْبِيهاً لِتَنٰاوُلِ التَّوْبَةِ، وَتَذْكِيراً لِمَحْوِ الْحَوْبَةِ بِقَدِيمِ النِّعْمَةِ، وَفِي خِلاٰلِ ذٰلِکَ مٰا کَتَبَ لِيَ الْکٰاتِبٰانِ مِنْ زَکِيِّ الْأَعْمٰالِ، مٰا لاٰ قَلْبٌ فَکَّرَ فِيهِ، وَلاٰ لِسٰانٌ نَطَقَ بِهِ، وَلاٰ جٰارِحَةٌ تَکَلَّفَتْهُ، بَلْ إِفْضٰالاً مِنْکَ عَلَيَّ وَإِحْسٰاناً مِنْ صَنِيعِکَ إِلَيَّ.

اَللّٰهُمَّ فَصَلِّ عَلیٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَحَبِّبْ إِلَيَّ مٰا رَضِيتَ لِي، وَيَسِّرْ لِي مٰا أَحْلَلْتَ بِي، وَطَهِّرْنِي مِنْ دَنَسِ مٰا أَسْلَفْتُ، وَامْحُ عَنِّي شَرَّ مٰا قَدَّمْتُ، وَأَوجِدْ بِي حَلاٰوَةَ الْعٰافِيَةِ، وَأَذِقْنِي بَرْدَ السَّلاٰمَةِ، وَاجْعَلْ مَخْرَجِي

---

١. معارج الوصول، ص ٦١؛ نظم درر السمطين، ص ١٧٤؛ الفصول المهمّة ٦٢٥/١.

عَنْ عِلَّتِي إِلىٰ عَفْوِكَ، وَمُتَحَوَّلِي عَنْ صَرْعَتِي إِلىٰ تَجاوُزِكَ، وَخَلاٰصِي مِنْ كَرْبِي إِلىٰ رَوْحِكَ، وَسَلاٰمَتِي مِنْ هٰذِهِ الشِّدَّةِ إِلىٰ فَرَجِكَ؛ إِنَّكَ الْمُتَفَضِّلُ بِالْإِحْسانِ، الْمُتَطَوِّلُ بِالْإِمْتِنانِ، الْوَهّابُ الْكَرِيمُ، ذُو الْجَلاٰلِ وَالْإِكْرٰامِ.[1]

وروي عن الشيخ الإمام عبدالعزيز بن أحمد الديريني قدس سره أنّه قال: سمعت القطب العارف بالله تعالى الشيخ عليّاً المليجي يقول لجماعته: إذا نزل بكم كرب أو حلّ بديياركم الطاعون، فأكثروا من الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله بعد الاستغفار، وقولوا: اللّهمّ إنّا نسألك بحقّ الحسين وأخيه، وجدّه وأبيه، وأُمّه وبنيه، وذرّيّته ومحبّيه، وعترته ومن يواليه، فرّج عنّا وعن المسلمين ما نحن فيه، يا أرحم الراحمين. فإنّها تفرّج كروبكم ويحفظكم الله من بلاء الطاعون بإذنه تعالى، وقد جرّبها أُمّة من الصالحين فرأوا بركتها.

وروى جماعة من الصالحين أنّ من قرأ البيتين الآتيين في أوقات الكربات أو في أيّام الطاعون يفرّج الله كربه ويقيه من الطاعون، وهما:

لي خمسة أطفئ بهم ... نار الكروب الحاطمه
المصطفى والمرتضى ... وابناهما وفاطمه

ولمّا حجّ هشام بن عبدالملك في أيّام أبيه طاف بالبيت، وجهد أن يصل إلى الحجر الأسود ليستلمه فلم يقدر على ذلك، لكثرة الزحام، فنصب له كرسي وجلس عليه ينظر إلى الناس ومعه جماعة من أعيان أهل الشام، فبينما هو كذلك إذ أقبل زين‌العابدين علي بن الحسين بن علي ـ رضي الله تعالى عنهم ـ وكان من أجمل الناس وجهاً، وأطيبهم أرجاً،[2] فطاف بالبيت، فلمّا انتهى إلى الحجر تنحّى له الناس حتّى استلم الحجر، فقال رجل من أهل الشام لهشام: من هذا الّذي هابه الناس هذه الهيبة؟ فقال هشام: لا أعرفه؛ مخافة أن يرغب فيه أهل الشام، وكان الفرزدق حاضراً فقال: أنا أعرفه، فقال الشامي: من هو يا أبافراس؟ فقال الفرزدق:

هذا الّذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحلّ والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلّهم ... هذا التقيّ النقيّ الطاهر العلم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله ... بجدّه أنبياء الله قد ختموا

١. الصحيفة السجادية الكاملة، الدعاء الخامس عشر.
٢. المطبوعة: أوجاً.

ولـيس قولـك مـن هـذا بـضائره ... العـرب تعـرف مـن أنكـرت والعجـم
كلتـا يديـه غيـاث عـمّ نفعهـما ... يـستوكفان فـلا يعروهمـا العـدم
سـهل الخليقـة لا تخـشى بـوادره ... يزينـه اثنـان حـسن الخلـق والـشيم
حمّـال أثقـال أقـوام إذا افترحـوا[1] ... حلـو الـشمائل تحلـو عنـده نعـم
لا يخلـف الوعـد ميمـون نقيبتـه ... رحـب الفنـاء أريـب حـين يعتـزم
مـا قـال لا قـطّ إلّا في تـشهّده ... لـولا التـشهّد كانـت لاؤه نعـم
عـمّ البريّـة بالإحـسان فانقـشعت ... عنـه الغيابـة والإمـلاق والعـدم
إذا رأتـه قـريش قـال قائلهـا ... إلى مكـارم هـذا ينتهـي الكـرم
يغـضي حيـاء ويغـضى مـن مهابتـه ... فـما يكلّـم إلّا حـين يبتـسم
بكفّـه خيـزران ريحهـا عبـق ... مـن كـفّ أروع في عرنينـه شـمم
يكـاد يمـسكه عرفـان راحتـه ... ركـن الحطـيم إذا مـا جـاء يـستلم
الله شرّفـه قـدماً وعظّمـه ... جـرى بـذاك لـه في لوحـه القلـم
أيّ الخلائـق ليـست في رقـابهم ... لأوّليّـة هـذا أو لـه نعـم
مـن يـشكر الله يـشكر أوّليّـة ذا ... فالـدين مـن بيـت هـذا نالـه الأُمـم
ينمـى إلى ذروة الـدين الّتـي قـصرت ... عنهـا الأكـفّ وعـن إدراكهـا القـدم
مـن جـدّه دان فـضل الأنبيـاء لـه ... وفـضل أُمّتـه دانـت لـه الأُمـم
مـشتقّة مـن رسـول الله نبعتـه ... طابـت مغارسـه والخـيم والـشيم
ينـشقّ ثـوب الـدجى عـن نـور غرّتـه ... كالـشمس تنجـاب عـن إشراقهـا الظلـم
مـن معـشر حـبّهم ديـن وبغـضهم ... كفـر وقـربهم منجـى ومعتـصم
مقـدّم بعـد ذكـر الله ذكـرهم ... في كـلّ بـدأ ومختـوم بـه الكلـم
إن عـدّ أهـل التقـى كـانوا أئمّـتهم ... أو قيل مـن خـير أهـل الأرض قيـل هـم
لا يـستطيع جـواد بعـد جـودهم ... ولا يـدانيهم قـوم وإن كرمـوا

١. في المخطوطة: اقترحوا.

فغضب هشام وأمر بحبس الفرزدق بعسفان، بين مكّة والمدينة، وبلغ ذلک زين‌العابدين فبعث إليه باثني عشر ألف درهم وقال: «اعذر يا أبافراس، فلو كان عندنا أكثر من هذا لوصلناک به». فردّها الفرزدق وقال: يا ابن بنت رسول الله، ما قلت الّذي قلت إلّا غضباً لله ـ عزّوجلّ ـ ولرسوله صلى الله عليه وآله[1] وما كنت لآخذ عليه شيئاً، فقال: «شكر الله تعالى لک ذلک، غير أنّا أهل بيت إذا أنفذنا أمراً لم نعد فيه». فقبلها، وجعل يهجو هشاماً وهو في الحبس، فبعث إليه هشام وأخرجه من السجن ببركة الإمام زين‌العابدين.[2]

ومن مدائحهم، ما أنشده أبوالحسن بن جبير[3] ـ عطّر الله مرقده، وطيّب مضجعه ـ :

أُحبّ النبيّ المصطفى وابن عمّه عليّاً وسبطيه وفاطمة الزهرا

---

١. في المخطوطة: صلى الله عليه وآله.

٢. للخبر والأبيات ـ أو مع مغايرة في بعضها وزيادة ونقيصة في عدد أبياتها ـ مصادر عديدة، منها: الاختصاص، ص ١٩١ ـ ١٩٢؛ الإرشاد ١٥٠/٢ ـ ١٥١؛ الفصول المختارة، ص ٣٩ ـ ٤٠؛ اختيار معرفة الرجال ٣٤٣/١ ـ ٣٤٥، ح ٢٠٧؛ حلية الأولياء ١٣٩/٣؛ الأغاني ٣١٦/١٥ ـ ٣١٧ و ٣٧٨/٢١ ـ ٣٨٠ ؛ زهر الآداب ٧١/١ ـ ٧٣؛ تاريخ مدينة دمشق ٤٠١/٤١ ـ ٤٠٣؛ أمالي السيّد المرتضى ٤٨/١ ـ ٤٩. ونسبها بعض إلى الفرزدق في الامام الحسين عليه السلام: الفتوح ٧٢/٥ ـ ٧٣؛ مطالب السؤول، ص ٣٩٧ ـ ٣٩٨؛ وعنهما في كشف الغمّة ٥٠١/٢ ـ ٥٠٢؛ المعجم الكبير للطبراني ١٠١/٣، ح ٢٨٠٠.

ونسبها بعض إلى كثير السهمي في محمد بن علي بن الحسين عليهما السلام: المؤتلف والمختلف لابن القيسراني ٧٥/١، والمؤتلف والمختلف للآمدي ٧٧/١.

وفي أخبار مكّة للفاكهي ٤٧٤/٣: ويقال: إنّ الرجل الّذي قال فيه الفرزدق هذا محمّد بن علي.

ونسبها بعض إلى الفرزدق في علي بن عبدالله بن جعفر بن أبيطالب: أخبار مكّة للفاكهي ٤٧٤/٣ (١٣٠٣).

ونُسب بعض هذه الأبيات إلى الحزين الكناني في عبدالله عبدالملك بن مروان: زهر الآداب ٥٩/١ ـ ٦٢، وذكر أبياتاً منها: «في كفّه خيزران...».

ونسبها بعض إلى داوود بن مسلم في قثم بن العبّاس بن عبيدالله بن العبّاس بن عبدالمطلّب: زهر الآداب ٧٣/١.

هذا الاختلاف الكثير في الشاعر والمنشد له، مضافاً إلى الاختلاف في عدد الأبيات، يدلّ على الدس والتحريف فيها، ولعلّ الفرزدق أنشد بعض هذه الأبيات في الإمام علي بن الحسين صلى الله عليه وآله وبعضها في مدح آخرين، وأنشد شاعر آخر ما يوافق قافية هذه الأبيات في مدح آخرين، فالتبس الأمر على الكتّاب وجعلوها قصيدة واحدة في مدح الإمام زين‌العابدين عليه السلام. وللعلامة الفقيد السيّد جعفر الشهيدي قدس سره كلام في ذلك يليق بالتأمل، فليراجع كتابه في ترجمة الإمام علي بن الحسين عليه السلام.

٣. محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي أبوالحسن ـ أو أبوالحسين ـ المولود عام ٥٤٠ في بلنسية، مؤلف كتاب «رحلة ابن جبير»، وله أيضاً: «نظم الجمان في التشكّي من إخوان الزمان» وهو ديوان شعره، توفّي ابن جبير في عام ٦١٤ بالإسكندريّة.

هم أهل بيت أُذهب الرجس عنهم ... وأطلعهم أُفق الهدى أنجماً زهرا
موالاتهم فرض على كلّ مسلم ... وحبّهم أسنى الذخائر للأُخرى
وما أنا للصحب الكرام بمبغض ... فإنّي أرى البغضاء في حقّهم كفرا
هم جاهدوا في الله حقّ جهاده ... وهم نصروا دين الهدى بالظبا نصرا
عليهم سلام الله مادام ذكرهم ... لدى الملأ الأعلى وأكرم به ذكرا

وللإمام الأعظم الشافعي رضي الله عنه:

آل النبي ذريعتي ... وهم إليه وسيلتي
أرجو بهم أُعطى غداً ... بيدي اليمين صحيفتي[1]

ومن أحسن المدائح فيهم قول الكميت بن زيد الأسدي ـ كان الله لنا وله ـ من قصيدة:

طربت وما شوقاً إلى البيض أطرب ... ولا لعباً منّي وذو الشيب يلعب
ولم يلهني دار ولا رسم[2] منزل ... ولم يتطرّبني بنان مخضّب
ولا أنا ممّن يزجر الطير همّه ... أصاح غراب أم تعرّض ثعلب
ولا السانحات البارحات عشية ... أمرّ سليم القرن أم مرّ أعضب
ولكن إلى أهل الفضائل والتقى ... وخير بني حواء والخير يطلب
إلى النفر البيض الّذين بحبّهم ... إلى الله فيما نابني أتقرّب
بني هاشم رهط النبيّ وآله ... بهم ولهم أرضى مراراً وأغضب
خفضت لهم منّي جناح مودّتي ... إلى كنف عطفاه أهل ومرحب
وكنت لهم من هؤلاء وهؤلاء ... محبّاً على أنّي أُذمّ وأُرهب
وأُرمى وأرمي بالعداوة أهلها ... وإنّي لأُوذي فيهم وأُؤنّب
بأيّ كتاب أم بأيّة سنّة ... ترى حبّهم عاراً عليّ وتحسب
فما لي إلّا آل أحمد شيعة ... وما لي إلّا مشعب الحقّ مشعب

---

١. عنه البيهقي في مناقب الشافعي ٦٩/٢، والسمهودي في جواهر العقدين ٣٣٥/٢ ـ ٣٣٦؛ وابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة ٥٢٤/٢ ـ ٥٢٥.

٢. في المخطوطة: نسم.

ومن غيرهم أرضى لنفسي شيعة ... ومن بعدهم لا من أجلّ وأرحب
إليكم ذوي آل النبيّ تطلّعت ... نوازع من قلبي ظماء وألبب
وجدنا لكم في آل حاميم آية ... تأوّلها منّا تقيّ ومعرب
فإنّي عن الأمر الّذي تكرهونه ... بقولي وفعلي ما استطعت مجنب
ألم ترني في حبّ آل محمّد ... أروح وأغدو خائفاً أترقّب
كأنّي جانّ محدث وكأنّني ... بهم يتّقى من خشية العرّ أجرب
يشيرون بالأيدي إليّ وقولهم ... ألا خاب هذا والمشيرون خيّب
فطائفة قد أكفرتني بحبّهم ... وطائفة قالوا مسيء ومذنب
يعيبونني في غيّهم وضلالهم ... على حبّكم بل يسخرون وأعجب
وقالوا ترابيّ هواه ودينه ... بذلك أُدعى فيهم وألقب
فلا زلت فيهم حيث يتّهمونني ... ولا زلت في أشياعكم أتقلّب
على أيّ جرم أم بأيّة سيرة ... أُعنّف في تقريظهم وأُؤنّب
أُناس بهم عزّت قريش فأصبحوا ... وفيهم خباء المكرمات المطنب[1]

والمدح فيهم كثير لا يحصى ولا يستقصى، رضي الله عنهم وعنّا بهم، وأماتنا على حبّهم، وحشرنا معهم تحت لواء جدّهمﷺ، ورضي الله عن الصحابة والقرابة والتابعين، وسلام على المرسلين، والحمد لله ربّ العالمين.

١. مختصر أخبار شعراء الشيعة للمرزباني، ص ٧١ ـ ٧٣؛ الروضة المختارة لابن أبي‌الحديد، ص ٢٥ ـ ٤٣.